**دروس و محاضرات في مادة**

**شخصيات إفريقية في العصور الوسطى**

**السنة الأولى ماستر تاريخ**

**تخصص: إفريقيا جنوب الصحراء**

**إعداد الأستاذ الدكتور : نور الدين شعباني**

**مقدمة:**

عرف تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء العديد من الشخصيات البارزة في تاريخها، و قد تعمّدت المدرسة الغربية على إبراز الشخصيات التي ساهمت في الحركة التحررية التي ناضلت ضد الاستعمار، مثل الكيني جومو كينياتا، والغاني كوامي نكروما، والسنغالي ليوبولد سيدار سنغور، أو بعض الشخصيات التي ساهمت في حركة الزنوجة والجامعة الإفريقية أمثال ماركوس غارفي، جورج بادمور، هنري سيلفستر وليم و غيرهم.

لكن هناك شخصيات أخرى كثير ةو مؤثرة في تاريخ إفريقيا بشكل كبير و جوهري كانت سببا في نشر الإسلام في إفريقيا و تأسيس دول و ممالك و إمبراطورية خلال العصور الوسطى، بقي مغمورة ولا يعرفها أو يسمع عنها إلا المتخصصين في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

إن هذه المطبوعة تشمل مجموعة من المحاضرات التي ألقيتها على طلبة السنة الأولى ماستر تخصص إفريقيا جنوب الصحراء خلال عدة سنوات من التدريس في جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، وهي تدخل في المنهاج المخصص لهذا المستوى الجامعي. أريد ان أضعها في متناول طلبة الماستر تخصص إفريقيا جنوب الصحراء حتى تكون منطلقا لهم لهذا التخصص الذي تفتقد فيه مكتباتنا إلى المراجع باللغة الوطنية كما سيستفيد الطلبة من الببليوغرافيا الغنية والمتنوعة التي تحتوي عليها المطبوعة حتى تكون بمثابة توجيه لهم لأمهات المصادر المراجع في هذه التخصص بصفة عامة في موضوع الشخصيات التاريخية الإفريقية في العصور الوسطى.

**المحور الأول**

**شخصية سوندياتا كيتا**

**مؤسس إمبراطورية مالي الإسلامية**

**أولا: سونديا في المصادر التاريخية:**

**1 . أسـمـاؤه:**

**2.مولده و نشأته**

**3. اعتناقه للإسلام:**

**ثانيا . مجهودات سوندياتا في بناء الإمبراطورية:**

**1. مجهودات سوندياتا العسكرية:**

**أ. استعداداته لمحاربة ملك الصوصو:**

**ب. معركة كيرينا:**

**ج. معركة نارينا:**

**د . توحيد بلاد مندي:**

**2. النشاط العسكري لسوندياتا:**

**أ. غزو الجولوف:**

**ب. إخماد ثورة مالنكي الجبال:**

**ج.غزو بلاد المور (الطوارق)**

**د. توسعاته نحو الغرب وتأسيس مملكة كابو (غمبيا):**

**3.الإنجازات السياسية والتنظيمية:**

**أ.إنشاء العاصمة:**

**ب.تنظيم الدولة:**

**\* تشريعات كوروكان فوكا:**

**المحور الأول:**

**شخصية سوندياتا كيتا**

**مؤسس إمبراطورية مالي الإسلامية**

**أولا: سونديا في المصادر التاريخية:**

تعد شخصية سوندياتا من أكثر الشخصيات التي شغلت اهتمام الماليين والماندينغ، كما جلبت اهتمام كل شعوب غرب إفريقيا. إلى درجة أصبحت فيه معظم قبائهم وعشائرهم تنسب نفسها إلى هذا الرجل العظيم، ونسجت حول شخصيته حكايات وأساطير جعلت منه بطلا أسطوريا خارقا يتمتع بمواهب فذة في القتال، وقوى سحرية فريدة من نوعها**[[1]](#footnote-1)**.

رغم ذلك فإننا نجد بأن اسم سوندياتا كان من أقل الأسماء تداولا من طرف المصادر العربية، على خلاف أبنائه وأحفاده الذين كان لهم النصيب الأوفر في كتبهم. وقد انفرد ابن خلدون بذكر ماري جاطة ( يقصد به سوندياتا) بقوله: « وكان ملكهم الأعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطه ... ولم يتصل بنا نسب هذا الملك »**[[2]](#footnote-2)**.

ورغم أن رواية ابن خلدون تعد أهم نص مكتوب نملكه عن هذه الفترة من تاريخ مملكة مالي، وعن شخصية سوندياتا، إلاّ أنها لم تتمكن من تزويدنا بنسبه. كما أنه لم يشر إلى فترة حكمه واكتفى فقط بذكر مدة حكمه التي قدرها بخمس وعشرين سنة**[[3]](#footnote-3)**. وهنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاستعانة بالمصادر الشفوية منها للإجابة على التساؤلات العديدة بشأن شخصية سوندياتا، رغم ما يشوب هذه المصادر من مبالغات ومن طابع أسطوري مليء بالخوارق .

تنسب الروايات الشفوية سوندياتا إلى أسرة كيتا التي حكمت مالي منذ توحيد إمارتي "دو" و"كيري" خلال أوائل القرن الخامس للهجرة/11م، على يد جدهم الكبر مامادو كاني، بحيث يعد حسب هذه الروايات الملك الثامن لمملكة مالي من نسل كيتا . بينما ينسب سوندياتا من حيث الأم إلى عائلة كونتي التي تعد أقدم عائلة سكنت إمارة دو وتزعمتها حتى قبل مجيء آل كيتا إليها. وتدعى أم سوندياتا بسوغولون كيجوكو أو(سوغولو كوتوم) وهي شخصية أحيطت بها أيضا الكثير من الأساطير، ونسبت إليها الكثير من القدرات والمهارات الخارقة، وكانت لديها أخت تسمى دو كاميسا (Do kamissa) تقول عنها الروايات الشفوية الخاصة بالوثنيين بأنها كانت ساحرة خطيرة قبل أن يقضي عليها والد سوندياتا ناري فاماغان**[[4]](#footnote-4)**.

أما الروايات الخاصة بالرواة المسلمين فنجدها كعادتها تحاول أن تجد لسوندياتا نسبا شريفا يصل إلى أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثلما نسبت آل كيتا إلى دوجون بيلالي أو (بلال بن رباح) الصحابي الجليل و مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنها تنسب سوغولون كيجوكو والدة سوندياتا إلى شخصية ساما لونان(Sama Lonan)، والتي تقول عنه هذه الروايات بأنه صحابي جليل، وكان له من الأبناء والأحفاد ألف رجل، جمعهم ومنحهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليحاربوا إلى جانبه في معركة خيبر**[[5]](#footnote-5)**ضد اليهود، والتي تذكرها هذه الرواية باسم كييبارا (Kayibara). وكان هؤلاء الأبناء الألف كلهم من صلبه بعدما تزوج من عدة زوجات، وبعدما انتهت المعركة بقي كل أبناءه هناك في خيبر ولم يعودوا (أي استشهدوا كلهم في ميدان المعركة)، ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصته، وكان ساما لونان عجوزا ، فدعا له الله بأن يرزقه ذرية أخرى تعوضه عن الأبناء الذين فقدهم، وترثه بعد موته. فاستجاب الله لدعاء رسوله، وأعاد لساما لونان ولزوجته شبابهما، فأنجبا اثنا عشرة ولدا، هاجروا فيما بعد إلى أرض مندن، وبالتحديد إلى إمارة دو قرب نهر السنكراني**[[6]](#footnote-6)**، وبالتالي خرجت منهم القرى الإثنتي عشر التابعة لإمارة دو المالنكية.

إذا فوالدة سوندياتا سوغولون كيجوكو تنتمي إلى عائلة كوناتي، وهي أقدم عائلة في المندي، وهي أول من تزعم أقدم إمارة في المندي وهي إمارة دو، التي بفضل اتحادها مع إمارة كيري تشكلت مملكة مندي أو ملل أو مالي. وبهذا يكون سوندياتا كيتا قد جمع في نسبه بين أعرق وأشرف عائلتين في بلاد مندن، وهما عائلتي كيتا من جهة الأب، وعائلة كوناتي من جهة الأم.

**1 . أسـمـاؤه:**

لقد تعددت وتنوعت أسماء سوندياتا كيتا بتنوع وتعدد الروايات التي ترددت بشأنه، وبتنوع اللهجات واللغات التي رويت بها. ويعد أول اسم أطلق على مؤسس إمبراطورية مالي هو سوجاتا ، حيث أطلق عليه يوم ولادته من طرف القابلة التي جاءت لتعلن نبأ ولادته لأبيه ناري فاماغان، فقالت له : « إن سوغولون كيجوكو (أي والدة سوندياتا ) أنجبت طفلا، إنه ولد، ولد سو ـ جاتا ومعناها الحصان الأسد. ولما سمعها الأب قال : «لقد نطقت باسمه، سنسميه ماغان سو ـ جاتا». ولقد تحول هذا الاسم فيما بعد إلى سونجاتا ثم إلى سوندياتا**[[7]](#footnote-7)**.

وهناك روايات أخرى تذهب إلى أن أصل تسميته يرجع إلى أمه التي لقبت بأم الأسد التي تلفظ بلغتهم (سوغولون - جارا (Sogolon -Jara) ومعناها " أسد سوغولون". بعد ذلك حدث تحريف في كلمة جارا التي تعني الأسد، وتحولت إلى جاتا، وفي أحيان أخرى تحولت إلى جالا، وجادا، وبالتالي أصبح الاسم "سوغولون جاتا".ولما تداول هذا الاسم البمبارا والمالنكي أصبحوا ينطقونه بسرعة فأعطى "سولون جارا" ثم تحول إلى "سون جارا" أو "سون جاتا"، ولما انتقل هذا الاسم إلى اللغة الفرنسية تحول نطقه إلى سوندياتا**[[8]](#footnote-8)**.

أما ابن خلدون فرغم أنه أورد اسما يختلف من حيث النطق، لكنه يقترب كثيرا من حيث المعنى الذي ذكرته الروايات الشفوية، فهو يقول:«اسمه ماري جاطه، ومعنى ماري عندهم الأمير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطه الأسد»**[[9]](#footnote-9)**.

وإلى جانب اسمه هذا فإن سوندياتا حظي بألقاب أخرى عديدة من طرف الرواة الشفويين، حيث كانوا ينادونه مرة ماغان كوناتي، ومرة ماغان ماغان كوناتي وذلك نسبة إلى أبيه ناري فاماغان،كما وجدت تسميات أخرى له مثل "بورومون جان كوناتي"، و"مندن منسا"(أي ملك مندن)، وسيمبو (أي بطل الصيد)، ونجد أيضا اسم"سوكو - سوكو سيمبو" وهو اختصار لاسم أمه سوغولون مضاف إليه لقب بطل الصيد**[[10]](#footnote-10)**. وعموما فإن سوندياتا قد أطلقت عليه عدة ألقاب ، لكن الاسم الأكثر شهرة والأكثر تداولا يبقى سوندياتا أو سونجاتا.

**2. مولده و نشأته:**

تقول بعض المصادر بأن سوندياتا ولد بقرية نياني سنة 1190م**[[11]](#footnote-11)** بينما يقول آخرون**[[12]](#footnote-12)** انه ولد بداكاجالان. لكننا نرجح الرأي الثاني لان داكاجالان**[[13]](#footnote-13)** هي أقدم قرية اجتمع فيها زعماء مندن، وكانت مقر ملوكها من آل كيتا، كما أن والد سوندياتا ناري فاماغان كان يقيم فيها و بها توفي.

ويعد والد سوندياتا زعيما للصيادين(سيمبو)، وملكا للمندي وهو ناري فاماغان**[[14]](#footnote-14)**وأمه هي الزوجة الثانية لناري فاماغان، وهي سوغولون كيجوكو. ذلك أن والد سوندياتا تزوج من امرأة أولى تسمى ساسوما بيريتي والملقبة بالنقية أو الطاهرة، وهي ابنة تال ماغان بيريتي أحد أمراء المندي، لكنها لم تتمكن من الحمل والإنجاب**[[15]](#footnote-15)**.

وتقول بعض الروايات أنه في إحدى الأمسيات عندما كان والد سوندياتا جالسا تحت شجرة، جاءه أحد المنجمين(المعروفين بالسوباها) وأخبره بأنه إذا أراد أن ينجب وليا للعهد فلا بد له أن يتزوج بامرأة أخرى،وهي امرأة قبيحة الوجه وحدباء، والتي سوف تنجب له الفاتح الجديد، والوريث الذي يصنع عظمة مملكة مالي**[[16]](#footnote-16)**.

لهذا قام ناري فاماغان وطلب من الصيادين أن يحضروا له هذه الخادمة القبيحة. فتمكنت أخته ناكان تيليبا (Nakan Tiliba) من إيجاد هذه الفتاة التي كانت مختبئة في بيتها لأنها كانت قبيحة وجسمها مليء بالثآليل، وإحدى عينيها أعلى من الأخرى، وحدباء. وكانت هذه المرأة تسمى "سوغولون كيجوكو"وتدعى أيضا "سوغولون كوندي"أو "سوغولون كوندوما"، فتزوجها ناري فاماغان ودخل بها، لكن زوجته الأولى بيريتي حبلت في نفس الوقت الذي حبلت فيه زوجته الثانية سوغولون، إلا أنها (أي الزوجة الأولى) وضعت مولودها أولا، حيث أنجبت طفلا ذكرا هو دانكران تومان، فطلبت من قابلتها أن تذهب إلى ناري فاماغان وتخبره بأنها أنجبت له أول أولاده، لكن القابلة عندما وصلت إلى بيت ناري فاماغان وجدته يتناول حساءه الصباحي، فقررت أن لا تخبره بميلاد الطفل حتى يفرغ من فطوره، لكن في صباح ذلك اليوم وضعت سوغولون كيجوكو مولودها هي أيضا، فقامت المرأة التي كانت ترافقها مسرعة إلى ناري فاماغان، وعندما اقتربت من مسكنه ودون انتظار صرخت قائلة: « يا فارا كورو ماكان كينييانفخ في فمي، فلقد جئتك ببشرى، إن سوغولون كيجوكو قد ولدت لك ولدا ذكرا يشبه سو - جاتا» أي يشبه الحصان الأسد، فابتهج ناري فاماغان، وقال لها: (( آه، لقد نطقت الآن باسم هذا الولد، سنسميه ماغان سونجاتا))**[[17]](#footnote-17)**.

بعد ذلك قامت قابلة ساسوما بيريتي وأخبرته بأن زوجته الأولى أيضا أنجبت ولدا ذكرا، وأنها هي من وضعت طفلها أولا حيث وضعته في منتصف الليل، بينما سوندياتا ولد في الصباح، فأجابها ناري فاماغان بان الطفل الذي اخبر بمولده أولا هو البكر. فهناك حكمة مشهورة في بلاد مندي تقول بأنه إذا وجد صيادان فريسة، فإنها تصبح ملكا لمن قال وجدتها أولا. ومن تلك اللحظة اندلعت حربا خفية بين الضرتين، وبدأ الحقد يملأ قلب ساسوما بيريتي على سوغولون كيجوكو وابنها، وبدأت معها معاناة سوندياتا منذ لحظة ولادته.

بدأت حياة سوندياتا بصراع عائلي يبدو في ظاهره مجرد نزاع أسري بين ضرتين، لكنه في الحقيقة كان أكبر وأعمق من ذلك، فهو صراع سياسي في باطنه، ذلك أن ساسوما بيريتي كانت ترى في سوندياتا وأمه منافسين لابنها "دانكران تومان" على ولاية العهد الخاصة بعرش مالي، والذي كانت تعتقد بان سوندياتا قد اغتصبه من ابنها بغير وجه حق، طالما أن ابنها كان هو من ولد أولا، وبالتالي فهو الحق بولاية العهد، وبعرش مندن بعد أبيه.وقد بدأت المصاعب تلاحق سوندياتا منذ نعومة أظافره، فقد تبين بعد أشهر من ولادته بأنه كان معوقا حركيا ولا يمكنه الوقوف على رجليه، وبقي على ذلك الحال لمدة ثلاث أو سبع سنوات إلى أن قرر التغلب على عجزه، ويقف على رجليه. وبعد عدة محاولات ومجهودات كبيرة ومتكررة استطاع سوندياتا الوقوف على رجليهوهناك روايات تذهب إلى أنه لم يستطع الوقوف إلا بعدما استعان بالعصا الملكية لأبيه**[[18]](#footnote-18)**.

تمكن سوندياتا من الوقوف على رجليه في سن السابعة من عمره، وبدأ يكبر شيئا فشيئا، حيث أصبح يتقد حيوية، واكتسب مهارات قتالية عالية، وهو ما جعل أخاه دنكران تومان وأمه ساسوما بيريتي يتقدان غيرة منه وحسد، ومما زاد في تعقد أوضاع سوندياتا ومحنته هو وفاة أبيه ناري فاماغان عام 1218م، وتولي أخاه دنكران تومان عرش مندن. رغم أن أباهما كان قد صرح عند ولادتهما بأن سوندياتا هو البكر الذي سيرث العرش من بعده. لكن دنكران تومان تمكن من اغتصاب الملك متحججا بولادته قبل أخيه سوندياتا. وأمام هذا الجدل حول شرعية الملك بين الإخوة، قرر سوندياتا أن يهاجر إلى خليج مندن، استنادا إلى وصية كان قد أسداها له أبوه الراحل قبل وفاته قائلا له: «يا ولدي، لا بد عليك من مغادرة مندن لمدة سبعة عشر سنة كاملة، فإذا لم تغادر مندن خلال هذه المدة فإن الناس سيعارضون القدر الذي كتب عليك، فأنا سأغادر هذا العالم»**[[19]](#footnote-19)**.

من خلال هذه الوصية نرى بان فاماغان كان يتمتع ببعد نظر، وكان يدرك جيدا بأن هناك أزمة وراثة على العرش كامنة بين ولديه، وأنها ستخرج للعلن بمجرد وفاته، لذلك أراد أن يجنب سوندياتا عواقبها، وأن يمنع وقوع حرب الأشقاء.

أخذ سوندياتا بوصية أبيه، وشق طريقه إلى المنفى، وأخذ معه أمه سوغولون كيجوكو، وأخته الصغرى "سوغولون كولونكان" وأخويه غير الشقيقين "ماندي بوري" أو (ماندن بوكوري) و"سيري بانجوكو". لكنه في طريقه إلى منفاه كان يلاحقه مبعوث أخيه وهو " كانكيرا واداني" من قرية إلى قرية، ومن إمارة إلى أخرى، حاملا معه ثلاث مثاقيل من الذهب كان يعرضها على كل من يساعده على الإمساك بسوندياتا ومرافقيه، لكن سوندياتا تمكن من الإفلات من تلك المطاردات إلى درجة أن أخاه دانكران تومان قرر الخروج بنفسه لملاحقته.وأخيرا تمكن سوندياتا من الذهاب إلى إمارة ميما في منطقة الساحل، أين طلب من حاكمها اللجوء.و استقبله هذا الأمير وشعبه بحفاوة كبيرة، واحتضنوه بدون تحفظات، ومنحوه أراض استقر فيها هو وأهله، وقد أعجب ملك ميما كثيرا بشجاعة الشاب سوندياتا، فأوكل إليه مسؤوليات كبرى**[[20]](#footnote-20)**.

ولقد بقي سوندياتا في ميما إلى غاية اعتلاء سومنغورو كانتي عرش الصوصو،حيث أخضع كومبي عاصمة غانة، وبعدها رأى بأن مملكة مالي تشكل خطرا حقيقيا على سلطته، فقرر أن يغزوها**[[21]](#footnote-21)**. وهنا يبدأ الصراع بين مملكة الصوصو ومملكة مندي(مالي)، وتبدأ معه ملحمة سوندياتا التاريخية من خلال أعماله ومجهوداته الجبارة في سبيل الدفاع عن مملكته من الزوال على أيدي ملك الصوصو أولا، ثم جعل منها إمبراطورية واسعة بلغ صداها كل العالم القديم.

**3. اعتناقه للإسلام:**

لعل من بين أهم المواضيع التي أثارت جدلا بخصوص شخصية سوندياتا هي قضية اعتناقه للإسلام،أو بالأحرى ديانته، فهل كان سوندياتا مسلما أم وثنيا ؟ وهنا أيضا نجد أنفسنا في مأزق حقيقي للإجابة على هذا السؤال المثير للجدل في غياب المصادر المكتوبة. لهذا سنكون مرة أخرى رهينة المصادر الشفوية التي كما رأينا سابقا تنقسم إلى روايات مصدرها الوثنيون الزنوج من طائفة الصيادين، ويحاولون أن ينفوا أية علاقة لسوندياتا بالإسلام، وجعله وثنيا متمسكا بالتقاليد الزنجية المرتبطة بالسحر وعبادة أرواح الأجداد. وروايات أخرى مصدرها الفقهاء وأحفاد سوندياتا المسلمين، والتي تحاول أن تظهر هذا الملك بمظهر المسلم الورع المجاهد، والمتمسك بمبادئ الإسلام، والملتزم بتعاليمه. لكننا إذا تتبعنا مسيرة عائلة كيتا نجد أن سوندياتا يكون من المسلمين على اعتبار أن أسرة كيتا دخلت الإسلام منذ عهد جدهم برمندانه الشهير. ولم يرد في الروايات الشفوية على اختلاف مصادرها بأن أحد أحفاده قد ارتد عن الإسلام. لكننا رغم ذلك نجد بعض الرواة من غير المسلمين، وفي مقدمتهم راوي منطقة كيرينا وهو واكاميسوكو (Wakamissoko) يحاول أن يجتهد ليعطي لنا انطباعا بأن سوندياتا لم يكن مسلما، فهو يقول في هذا الشأن: « فيما يخص إسلام ملوك مندن، وهذا قبل وصول سوندياتا إلى الحكم، يقال بأنه وجد ملك واحد كان مسلما، ويتعلق الأمر بنياني منسا مامورو، وهو الشقيق الأصغر لسوندياتا، ولكنه كان يتخفى من خلال الاختباء في عمارته لتطبيق تعاليم دينه الجديد»**[[22]](#footnote-22)**.

نلاحظ من خلال هذه الرواية بأن "واكاميسوكو" يحاول أن يفيدنا بكلام غامض وغير دقيق، ويكتنفه الكثير من الأحكام المسبقة من أجل إقناعنا بادعائه. فهو عندما تحدث عن ملوك مالي من المسلمين، قال "قبل وصول سوندياتا إلى الحكم" فهو بذلك يستثني سوندياتا، أو على الأقل فترة حكمه. فكلامه إذن يخص ملوك مالي قبل سوندياتا الذين ذكرتهم المصادر الشفوية والمكتوبة على حد سواء، والذين يجمعون على أن أكثرهم كانوا مسلمين ( إن لم يكونوا كلهم)، وهذا منذ أن أسلم برمندانه كما رأينا سالفا.

ويواصل واكاميسوكو أحكامه الجزافية وغير المؤسسة عندما يقول في موضع آخر أن الرجل المالنكي لا يعتنق أبدا الإسلام بصفة حقيقية.وهو بذلك يطلق حكما مطلقا من خلال استعماله كلمة أبدا ، بدون أن يطلعنا على سبب وصوله إلى هذا الحكم. كما نجد في موضع آخر كلام ليوسف تاتا سيسي (Youssouf tata cissé) ـ وهو شريكه في هذه الدراسة، والمعلق على الكتاب ـ يشير فيه إلى نفس الاتجاه عندما يعلق على كلام الرحالة المغربي ابن بطوطة بخصوص إسلام سوندياتا،فابن بطوطة يذكر بأن جد منسا سليمان وهو سارق جاطه (ماري جاطه) قد أسلم على يدي شخص يسمى مدرك بن فقوص**[[23]](#footnote-23)**.

فبينما نقل موريس دولافوس هذا الكلام معتبرا بأن سارق جاطه هذا هو نفسه ماري جاطه أو سوندياتا، نجد أن يوسف تاتا سيسي يقول بأن هذا الكلام لا يخص سوندياتا وإنما يتعلق الأمر ربما بملك آخر يسمى"منسا سيريكي جاتا" المعروف بأبي بكر صديقي، وهو ابن أخت سوندياتا. لكننا عندما بحثنا في مصادر أخرى عن الاسم الثاني لأبي بكر هذا لم نجده.

لهذا فإننا نرى بأن سوندياتا كان مسلما كبقية الملوك المنحدرين من عشيرة كيتا،والذين تعاقبوا على عرش مالي بعد برمندانه، لكنه لم يكن من طراز الملوك الذين يحكمون باسم الخلافة الإسلامية، أو ذلك الخليفة الرافع لراية الجهاد في سبيل الله، ولم يعط الانطباع بأنه ذلك الملك الورع التقي.أي أن إسلامه لم يتخذ طابعا سياسيا، ذلك أن قضية أسلمة بلاد السودان كما نعلم كانت بطريقة تدريجية وقامت على عاتق التجار بالدرجة الأولى، وخاصة التجار الاباضيين، لذلك مست الطبقة الأرستقراطية من أمراء وملوك وكبار التجار والنبلاء الذين وجدوا في اعتناق الإسلام سبيلا للرفعة والمكانة الاجتماعية، لما كان يمثله المسلمون من مكانة في المجتمع السوداني، أو ما يجلبه من مصلحة مادية على أساس أنهم كانوا يمثلون الشركاء التجاريون لهذه الطبقة الارستقراطية من المجتمع السوداني. كما مس الإسلام أيضا طبقة العبيد الذين كان يمثل اعتناق الإسلام بالنسبة إليهم وسيلة للتخلص من العبودية والاسترقاق**[[24]](#footnote-24)**.بينما بقيت الطبقات الاجتماعية والحرفية الأخرى وفية لوضعها القديم وديانتها الوثنية،لأنها مبنية على أساس عقد ابتدائي مع الجن أو الطوطم(الخاص بالعائلة، كما بقيت طبقة الرواة وطبقة الحدادين على وثنيتهما .

وعموما فإن إسلام الملوك الأفارقة بصفة عامة، وملوك مالي بالتحديد، كان في غالبه إسلاما سطحيا ولم يظهروا حماسا مفرطا في حمل الناس على اعتناق هذا الدين الجديدإلا في حالات استثنائية جدا سوف نراها لاحقا مع منسا موسى وهو أحد أحفاد سوندياتا. لهذا يمكن أن نقول بأن نظام الدولة في عهد سوندياتا كان لائكيا، ولم يكن الملك يدمج بين وظيفته كحاكم للبلاد وبين ديانته الإسلامية، بل وفي كثير من الأحيان كان يتلقى ضغطا من طرف أتباع الديانات التقليدية الوثنية، خاصة أثناء حربه مع سومنغورو وما كانت تتطلبه تلك المرحلة وتلك الحروب من طقوس بالنسبة للوثنيين.

ومما يبين وجود صراع خفي بين سوندياتا وأتباعه المقربين من المسلمين، وبين الطوائف الأخرى من الوثنيين هو ما حدث بعد وفاته، وخاصة خلال مراسيم دفنه، حيث قام أحد نبلاء مندن المقربين من سوندياتا وهو "موسى أوموري" المعروف بإسلامه وتدينه، والذي عاش لفترة في مكة المكرمة. ولقد أراد هذا الرجل أن يدفن الملك حسب تعاليم الشريعة الإسلامية، كما حرص على أن لا تتم عملية الدفن إلا بعد إلقائه كلمة تأبينية تخللها مواعظ دينية وصلاة الجنازة، وهو ما جعل بعض رؤساء العشائر المندية الوثنية المنتمية إلى طوائف أخرى إلى معارضة هذه المراسيم، وادّعوا بأنها غريبة عنهم رغم أنه جرت العادة على أن لا يدفن الموتى إلا بالمراسيم الاسمية التي كان يتولاها موسى هذا.

فلهذه الأسباب لم يكن سوندياتا يظهر حماسه الديني الإسلامي، بل كان يحرص على إظهار تسامح كبير مع الديانات الأخرى، مما فتح في اعتقادنا مجالا واسعا لإثارة الجدل حول حقيقة إسلامه.

**ثانيا . مجهودات سوندياتا في بناء إمبراطورية مالي:**

لما استقر سوندياتا في ميما أخذ يعيش حياة بسيطة هادئة بعيدة عن أهل مندن، حيث كان يمارس مهنة أجداده وهوايته المفضلة وهي الصيد، ويتمتع بحب أهل ميما وتقدير ملكها**[[25]](#footnote-25)**. وبينما هو كذلك حتى قام سومنغورو كانتي بغزو بلاد مندن للمرة التاسعة في عام 1200م، بعد ثمان غزوات سابقة واجهها الماليون بمقاومة مستميتة، لكن هذه المرة كانت الغزوة كاسحة، وأعد لها ملك الصوصو قوة كبيرة لم يكن بإمكان أهل مندي الصمود إمامها. وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام تضارب الروايات الشفوية المحلية، في غياب المصادر المكتوبة. فبعض هذه الروايات التي تكتسي طابع الملاحم التاريخية تقول بان سومنغورو قام بقتل أخ سوندياتا غير الشقيق (منسا دنكران تومان) وإخوته العشرة الذين تعاقبوا على عرش مندن في ظرف سنة واحدة**. [[26]](#footnote-26).**

لكننا نشك في دقة هذه الروايات ومصداقيتها، على اعتبار أن حالة الذعر والفوضى والدمار التي أصابت بلاد مندي عموما ومدينة كنغابا أو (داكجالان) العاصمة خاصة،لم تكن تسمح بإتمام إجراءات نقل السلطة، وتنصيب ملك جديد خلفا لآخر في كنغابا، خصوصا إذا ما صدقنا الروايات الشفوية التي تقول بأن سومنغورو عندما شن هجومه التاسع على العاصمة حدثت هناك حالة خراب وفرار جماعي لكل سكانها**[[27]](#footnote-27)**.

كما أن سومنغورو استقر خلال هذه الغزوة في كنغابا لفترة معينة قبل أن يعود إلى مملكته. وبالتالي فمن غير الممكن في ظل هذه الظروف أن يكون هناك مجال للتداول على السلطة بين أبناء الملك ناري فاماغان. ومن هنا يمكن أن نقول بان الرواية الأقرب إلى المنطق هي تلك التي تقول بأنه بعد الهجوم الذي شنته قوات سومنغورو على مملكة مندن، واستيلائها على البلاد، فإن كل أمراء المملكة هربوا وتركوا إماراتهم، بدء بشقيق سوندياتا الملك منسا دنكران تومان الذي ترك كنغابا، ولجأ إلى إحدى الغابات، واستقر فيها[[28]](#footnote-28).

هنا لجأ بقايا المقاومين المنديين إلى عملية القرعة وإلى رمي حجرات الحظ التي كان يشتهر بها الصيادون المالنكي، وهي طريقة لاستشراف الغيب، وضرب من ضروب التنجيم، فخلصوا إلى رأي واحد وهو ( أن الرجل الذي غادر مندن منذ مدة طويلة متجها إلى المنفى، هو الذي يمكن أن ينقذ البلاد، وأنه إذا لم يذهب أهل مندي للبحث عنه فإن سومنغورو سيستولي على ما تبقى من أشياء ثمينة في مندن خلال حملته المقبلة) .وهنا قدم احد إخوة سوندياتا، وهو أخوه الصغير المدعو " فوفانا كيتا" إلى ميما وطلب منه الرجوع إلى مندن لإنقاذه من قبضة الصوصوبعدما عينه مجلس قدماء مندن كمتحدث باسمهم**[[29]](#footnote-29)**.

وتقول الروايات الشفوية الخاصة بالمالنكي أنه خلال هذه الفترة وقعت حادثة تزامنت مع غزو الصوصو لبلاد مندي، وهي وفاة والدة سوندياتا وذلك عام 1222م، فطلب منه ملك ميما "فاران بوريما تانكران" أن يدفع ثمن التراب الذي ستدفن فيه أمه بميما.وهنا أدرك سوندياتا فظاعة العيش المرء في المنفى بعيدا عن وطنه، فازداد إصراره على استرجاع وطنه المغتصب مهما كلفه ذلك من ثمن، وقرر العودة إلى بلاد مندن**[[30]](#footnote-30)**.

**1. مجهودات سوندياتا العسكرية:**

**أ. استعداداته لمحاربة ملك الصوصو:**

عندما كان سوندياتا لاجئا في ميما كانت قوات سومنغورو تعيث في بلاد مندية قتلا ونهبا، بينما خيب الملك منسا دنكران تومان شقيق سوندياتا أمل المنديين الذين ولوه أمر قيادة جيشهم لمواجهة قوات الصوصو، وذلك بهروبه أمام المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقه، ولجأ إلى الغابات الجنوبية تاركا المكان شاغرا**[[31]](#footnote-31)**. لذلك لم يكن أمام شعب الماندينغ من حل سوى الاستنجاد بسوندياتا كيتا الذي لبى دعوة الوطن، وبدأ يعد العدة للحرب التي أصبحت حتمية ضد المحتلين الصوصو. فأخذ يتشكل جيش من مختلف الإثنيات التي يتكون منها شعب الماندينغ، والناقمين هم أيضا على ملك الصوصو.

وتقول الروايات الشفوية بأن سوندياتا قصد من أجل ذلك عدة إمارات ومقاطعات مندية للحصول على المدد والرجال بعدما عبأ أصحابه في المهنة من الصيادين ورفقاء الطفولة وشحذ هممهم[[32]](#footnote-32) . وكانت أول مقاطعة زارها هي سنكران، وهي بلاد أخواله، فنزل عند ملكها الذي يدعى سنكران دانكينيا كونتي(Sankaran Dankinya Konté). وبعد إقامته مدة من الزمن سأله هذا الملك عن سر مجيئه إلى سنكران، فأخبره سوندياتا بنيته في الحصول على جيش لمحاربة سومنغورو، فمنحه ملك سنكران جيشا وبعدها توجه إلى كيرينا ونزل ضيفا على زعيم البلاد الذي يدعى طارا مغان تراوري (Tara maghanTraoré) أودامبيلي Dembélé)) وهو جد البمبارا الذي أجابه إلى طلبه، وزوده بجيش من أهل كيرينا. ثم مر بإمارة كينتو الواقعة على الضفة اليمنى للنيجر، وزوده ملكها سورا موسى(Soura moussa) والملقب بسيسوكو(Sissoko) بعدد من الرجال، ثم عرّج على قرية لابي في منطقة فوتا جالون التي دعا زعيمها تابو (Tabou) سكان القرية للتطوع في جيش سوندياتا فأجابوه**[[33]](#footnote-33)**. ويبدو أن انضمام سكان تلك الإمارات إلى جيش سوندياتا، وتحمسهم إلى الحرب تحت قيادته، تعود إلى تلك الشهرة وذلك الصيت الذي أذيع عن شجاعة سوندياتا وتحمسه للتخلص من ملك الصوصو**[[34]](#footnote-34)**.

وتأكيدا لشجاعة سوندياتا، وتبريرا لأحقيته بتزعم هذا الجيش، فإن الروايات الشفوية بينت لنا الكيفية التي عن طريقها عين سوندياتا قائدا على جيش المندي، حيث لما اختلف الجنود حول هوية من يقودهم في تلك الحرب، تقدم شيخ مسن وحكيم واقترح عليهم إذابة الرصاص داخل إناء، ومن يتمكن من إدخال يديه داخل هذا السائل يكون قائدا.فلم يستطع أحد باستثناء سوندياتا القيام بذلك، وبالتالي أصبح قائدا للحملة. لكننا نعتقد بأن الجنود الذين هبّوا لنصرة سوندياتا وتطوعوا في جيشه،لم يكونوا بحاجة إلى هذا الامتحان لتوليته قائدا عليهم، وأن شخصية سوندياتا كانت تحظى بإجماع كل شعوب المندي كقائد وزعيم لهم. لهذا فإننا لا نرى بأنه كان يشكل موضع خلاف بين الجند حول القيادة، وبذلك يمكن أن نقول بأن هذه الرواية لا تعدو إلا أن تكون من الأشياء التي أضيفت لملحمة سوندياتا لتضفي عليه صبغة البطل الخارق، والشخص المتفوق على بقية البشر.

ومهما يكن فإن الجيش الذي جمعه سوندياتا كان يضم بالإضافة إلى الصيادين المالنكي محاربي السوننكي والكاكولاس والهوسا والفلاته والمور وغيرهم.كما انظم إليه النبلاء والأغنياء والتجار من كل المدن الكبرى في غانة، والذين زودوه بالخيول والأسلحة والمؤونة. فلقد كانت تعبئة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد، وذلك نظرا لفداحة الظلم الذي ارتكبه سومنغورو في حق سكان مندن، إلى درجة لم يسلم أي أحد من بلاد مندن من بطشه ودماره. وبذلك تشكل جيش تحرير مالي، الذي حمسه ودربه سوندياتا لعدة أيام قبل أن يقوده باتجاه مندن**[[35]](#footnote-35)**.

وقبل أن يتوجه به إلى مندن قام سوندياتا بتقسيم الجيش حسب انتمائهم الطائفي، العشائري والجهوي، ما عدا الصيادين الذين شكلوا كتلة واحدة. بعدها شق سوندياتا وجيشه طريقهم إلى مندن.وقد حظيت مسيرة سوندياتا وجيشه من ميما إلى موطنه الأصلي بمندن باهتمام كبير من طرف الرواة ومنشدي الملاحم الأفارقة، ونجد هناك روايات مختلفة حول هذه الرحلة وما حدث الطريق. لذلك حولنا أن ننقل الروايات الأقرب إلى المنطق، ما دام أن المصادر المكتوبة بخصوصه تعوزنا.

تقول بعض هذه الروايات أن سوندياتا قد مرّ في طريقه إلى مندن بقرية كوليكورو (Koulikoro)، حيث ضحى فيها بقرابين في جبال نياني -كولو (Niani-Koulou)، بعدها توجه إلى هضبة باكوني والتي تمثل المدخل الرئيسي لمندن من جهتها الشمالية أين توقف الجيش لمدة أسبوع من أجل تقديم الذبائح والقرابين للجن والآلهة التي تزخر بها المنطقة، بالإضافةإلى استغلال الفرصة لإحياء بعض المراسيم والطقوس الخاصة بالحرب**[[36]](#footnote-36)**.

وخلال الليالي الأخيرة التي أقام فيها الجيش في هضبة باكوني، نظمت على شرف سوندياتا سهرات كبيرة قام خلالها الرواة والمنشدين المرافقين للزعماء الصيادين بترتيل الأناشيد الحماسية، وألقى فيها قادة الجيش خطابات حماسية لشحذ همم الجند قبل أن يصل السيمبو إلى مندن**[[37]](#footnote-37)**.

بعدها توجه سوندياتا وجيشه إلى مندن، ولما رآه أهل مندن هبوا لاستقباله، واحتفلوا بعودته إلى كنغابا. وبعد الانتهاء من مراسيم الاحتفال والاستقبال، سأل سوندياتا عن الراوي الخاص بعائلة كيتا وهو بالا فاسيكي(Balafasséké)، فأخبروه بأنه ذهب إلى قصر سومنغورو كانتي ليتوسل إليه في طلب الهدنة معه. لكن سومنغورو عندما التقاه غدر به، وقطع وتر رجليه وأذله. ولما سمع سوندياتا بهذه الحادثة، وما جرى لبالا فاسيكي على يد سومنغورو، أرسل إليه مبعوثه الخاص وهو"ووري ووري سولوماني" ليخبره بأن سوندياتا قد عاد إلى وطنه، وأنه قادم لإعلان الحرب عليه، ويطلب منه أن يخلي سبيل الراوي الخاص بالعائلة. وبذلك أعلنت الحرب بين الرجلين وبين مملكتين مالي والصوصو**[[38]](#footnote-38)**.

**ب. معركة كيرينا:**

لما علم ملك الصوصو سومنغورو باستعدادات سوندياتا والمالنكي لمحاربته، انتقل من مقر إقامته في نياني قرب نيامينا، وتوجه إلى منطقة تونينا التي كان يعتقد بشأنها السوننكي بأنها مقر تواجد حراس الملك من الجن. بعدها توجه إلى نيامانكو Niamanko، وهو معسكر كبير خاص بتدريب الحدادين الشباب فنون الحدادة والتعدين، وهناك قام بتشكيل جيش احتياطي يتكون من أربعين ألف جندي من الشباب.

أما سوندياتا فقد اعتمد على جيش مكون من مختلف العشائر والإثنيات، وأوكل مهمة قيادة تلك الجيوش إلى قادة يثق فيهم كثيرا، وهم أترابه ورفقاء الطفولة أمثال" تابون وانا " الذي كان رئيسا لفرع الكامارا، وابن عمه "كاماديان" من آل كامارا الذين يقطنون سيبي. كما اعتمد على قادة أقوياء أمثال فاوني كونديه، سيارار كومان كوناته وتيراماكان تراوري. والتقى الجميع بسوندياتا في سهل سيبي حيث تولى بنفسه إدارة العمليات**[[39]](#footnote-39)**. وكان أول هجوم على جيش الصوصو قامت به قبائل الكامارا المتواجدة على الضفة اليمنى لنهر النيجر، والتي يقودها الملك "كارا نورو" وكان ذلك في عام 1234م، حيث هجمت على المراكز الأمامية لجيش الصوصولكنه مني بهزيمة نكراء، وانتصر بذلك سومنغورو في أول اشتباك مع جيش سوندياتا**[[40]](#footnote-40)**.

ورغم أن الروايات الشفوية تذهب إلى تفسير هذه الهزيمة بعوامل سحرية تتعلق بتمتع سوندياتا بقوى سحرية تحول دون إصابة جسمه بالأسهم أو الحديد، إلا أننا نعتقد بأن أسباب هذه الهزيمة تعود إلى عوامل موضوعية تتعلق بمعطيات هذه الحرب وظروفها ومستجداتها، والتي يمكن أن نلخصها في ما يلي:

**أولا:** خبرة جيش الصوصو وحنكته الحربية، وكذا انسجام جيشه وقوته إذ تفوق على حداثة جيش سوندياتا الذي كانت تعوزه الخبرة. فهو جيش فتيّ مكون من عدة عشائر وإثنيات غير منسجمة، ولم يسبق لها خاضت حربا مع بعضها من قبل، ويقودها شاب يتقد طموحا وتحذوه إرادة وحماس كبيرين، لكن تعوزه الخبرة.

**ثانيا:** اعتماد جيش الصوصو على قائد محنك وقوي، وهو"فاكولي دومبيا" أو(فاكولي كانكوبا كاسيا كانتي)، وهو ابن أخت سومنغورو ويعد من أفضل قادته، ومن أقرب المقربين إليه والذي اعتمد في هذه الحرب على خيانة زوجة قائد جيش الكامارا منسا كارانورو، التي استطاع فاكولي استدراجها فسلمت له زوجها بعدما شعر فاكولي بأنه من الصعب التغلب على جيش الكامارا المدرع بالحديد والمستميت في القتال**[[41]](#footnote-41)**.

لقد أقام سومنغورو بعد ذلك الأفراح والاحتفالات بمناسبة هذا النصر الذي لم يكن في الحقيقة نصرا نهائيا، ذلك أن سوندياتا بدأ فعلا بالتحضير للمعارك الحاسمة ضد الصوصو، فكانت البداية بمعركة كيرينا التي استفاد فيها من أخطائه السابقة. وكان أول عمل مهد الطريق للنصر في معركة كيرينا لصالح جيش المالنكي هو انضمام قائد جيش الصوصو فاكوليإلى صف جيش سوندياتا مباشرة بعد انتصاره على جيش منسا كارا نورو. وسبب ذلك يعود إلى الاحتفال الذي أقامه خاله سومنغورو بمناسبة ذلك الانتصار، حيث تذكر الروايات الشفوية بأنه خلال هذا الاحتفال تمكنت زوجة فاكولي من إعداد مائة طبق من الكل لوحدها، بينما عجزت زوجات سومنغورو وعددهن مائة امرأة من فعل ذلك، فأعجب ملك الصوصو بمهارة زوجة فاكولي الوحيدة، وطلب من ابن أخته أن يتنازل له عنها مقابل أن يختار واحدة من زوجاته المائة.فرفض فاكولي عرض خاله الغريب، وتمسك بزوجته. لكن سومنغورو الطاغية الذي لم يتعود على أن ترفض طلباته، أصر على طلبه، فخشي فاكولي من بطش خاله وغدره فقرر ترك معسكر الصوصو والهروب منه. فلجأ هو وجيشه إلى معسكر جيش سوندياتا، وعرض خدماته على هذا الأخير لكي يحارب إلى جانبه ضد الصوصو وملكهم[[42]](#footnote-42).

كما حاول أن يأخذ معه أبناءه الخمسة إلى بلاد مندي وهم، كاماجان كامارا وهو البكر، كاميسوكو، باكايوكو، سينايوكو أو (سيناكا) وكوروما أو (دومبيا) وهو أصغرهم. لكن سومنغورو لم يسمح لهم بالرحيل والالتحاق بأبيهم، فبقوا إلى جانب أمهم، وبذلك تدعم الحلف الذي شكل جيش مندن المتمركز في سيبي بجيش وقائد من طراز رفيع، وأضافا لهم نقاط قوة جوهرية في معركتهم القادمة والحاسمة في كيرينا. بينما فقد سومنغورو جزء مهم من جيشه وأفضل قادته، وبذلك فقد عنصر مهم من قوته.

وبالإضافة إلى هذا فإن قوات سوندياتا قد تدعمت بعامل مخابراتي مهم جدا هي أخته "نانا بيريتي"التي بعد الهزيمة الأولى لأخيها أمام سومنغورو، وما أشيع عن هذا الأخير من تمتعه بقوى سحرية تحميه من فقام سومنغورو بالزواج منها، فبقيت إلى جانبه تستميله للبوح بسر قوته وقوة جيشه. فتحولت بذلك إلى مخبر لجيش سوندياتا داخل قصر ملك الصوصو. و بالتالي تمكنت من معرفة سر القوة السحرية التي يتمتع بها سومنغورو، حيث تقول الروايات الشفوية بأن أخت سوندياتا لما تزوجت سومنغورو منعته من ممارسة حقه الزوجي لمدة أسبوع كامل من زواجه منها، ولما ألـحّ في طلبه اشترطت أن يخبرها أولا بسر قوّته السحرية حتى تمكنه من نفسها، مدعية بأن ذلك يثبت لها مدى ثقته بها، كما سيمكنها من الحرص على تجنب الأمور التي تضر به.عندئذ أخبرها سومنغورو بأن آل كوناتي الذي ينتمي إليهم، لا يمكن أن يُقْتَلُوا إلاّ عن طريق خلط ريش ودم ديك أبيض، ثم غطس سهم بداخل هذا الخليط، ثم يرمي به نحوهم[[43]](#footnote-43).

فبهذه الطريقة وحدها يمكن قتلهم، حتى وإن لم يخرج منهم دم إلا بمقدار ما تشربه بعوضة.كما أخبرها بأن هذا السهم الذي يقتلون به يجب أن يكون مصنوعا من ظفر ديك أبيض، بالإضافة إلى ذلك هناك تعاويذ وطقوس لابد أن تقام لكي يهزم سومنغورو، وتتمثل في أخذ خمسة قضبان لنبات الدخن ثم دفنها في الأرض، بعد أن يذبح ثور أحمر كقربان وتُصْنَعَ من دمه فطيرة يتم دفنها أيضا في الأرض،ثم تقلع جذور الفول اليابسة وتلقى داخل حصن سومنغورو[[44]](#footnote-44).

بعدما علمت شقيقة سوندياتا بكل هذه الأسرار سمحت لزوجها بان يقترب منها، وبقيت معه لمدة ثلاثة أيام بلياليها إلى أن غلبه النعاس فنام نوما عميقا، فهربت من قصره واتجهت إلى معسكر سوندياتا فأخبرته بالسر الذي عرفته[[45]](#footnote-45).

وتقول الروايات المخلدة لهذه الملحمة بأن سوندياتا أرسل من يأتيه بظفر ديك أبيض، وقام بإعداد الخلطة اللازمة، ثم صنع السهم المطلوب لقتل سومنغورو.في حين أخبر سومنغورو من طرف منجميه بأنه سيقتل لا محال، وبأنه إذا أراد أن لا يقتله سوندياتا فعليه أن يقتل ابنة أخته.لهذا غضبت أخته وهربت هي الأخرى إلى معسكر سوندياتا، وأخبرته بدورها أيضا بالسر الذي يبطل سحر أخيها، وهو السهم المصنوع من ظفر الديك الأبيض، وبذلك تأكد سوندياتا من صحة المعلومة التي أخبرته بها أخته. وهكذا لم يبق أمام سوندياتا وجيشه إلا التهيؤ للحرب وإعداد الخطة اللازمة لمعركة كيرينا التي ستكون حاسمة.

إن موقع منطقة كيرينا التي احتضنت المعركة غير معروف بدقة، لأن مدينة كيرينا الحالية حسب الرواة الشفويين حديثة التأسيس(.لكنها على ما يبدو لم تكن بعيدة عن بماكو الحالية، ومنطقة سيبي التي احتشدت فيها قوات سوندياتا وعسكرت فيه.ولقد أعد سوندياتا خطته الحربية بناء على الأخبار التي جاءه بها جواسيسه من معسكر الصوصو، و مفادها أن قواتهم سلكت الطريق المحاذي للضفة اليسرى لنهر النيجر[[46]](#footnote-46).

كان سوندياتا قد قسم جيشه إلى مجموعات حسب انتمائهم العشائري والطائفي، لذلك فقد أوكل لكل مجموعة مهمة خاصة في هذه المعركة على الشكل التالي: بالنسبة لجيش الصيادين المكون من عشيرة سوندياتا وأصدقاءه وأهل مندي، والذي يقوده تيراماكان الذي يعد من أفضل قادة جيش سوندياتا، فقد تمركز بين أشجار غابة "كوتو" على طول نهر النيجر برفقة كلابهم المكممة، وكانت مهمتهم أن يطلقوا كلابهم على فرسان الصوصو عند بداية المعركة من أجل إسقاطهم عن صهوة جيادهم، وكذا قطع خط العودة عن مؤخرة جيش الصوصو،ومنعه من التوجه شمالا عن طريق إغراقه بالسهام المسمومة.

أما الجيش المكون من آل كامارا فقد كان متمركزا في منطقة سندوكو (Sendougou) في اتجاه جبال ماندينغ. وكانت مهمتهم تتمثل في الهجوم على العدو مع القيام بحركة طفيفة نحو الشمال من اجل الالتقاء مع جيش تيراماكان، حيث يشكل هذان الجيشان ما يعرف بالميمنة والميسرة، وكانوا مسلحين بالسهام والرماح والفؤوس والخناجر[[47]](#footnote-47).

وبالنسبة للجيش المكون من فرسان واغادو أو(غانة) أي من عناصر سوننكية، والذي كان يقوده سوندياتا بنفسه، فلم يكن عليه إلا الهجوم على جيش الصوصو ومحاولة إنقاص عدده، وهو ما يعرف بصدر المعركة. وهناك جيشان آخران يعرفان بـ "تون - كورو - بيلاما" وتعني مؤخرة الرقبة، ويقودهما كل من نان كومان جان وفاكولي ـ واللذان يتشكلان من كبار الرماة والمشاة ـ فإنهم لا يفعلون أي شيء وإنما عليهم البقاء مختبئين في مخابئ تحت الأرض، والمعروفة عندهم بـ" تارابـا"، داخل تجويفات الأشجار الضخمة، وداخل البساتين الكبيرة، وينتقلون بطريقة الصيادين. وقد طلب من قناصيهم أن يقتلوا أكبر عدد من قادة حرب جيش الصوصو، الذين كانوا يتميزون عن غيرهم بشعرهم الطويل[[48]](#footnote-48).

أما جيش سومنغورو فقد كان جرارا حسب وصف الرواة الشفويون، بحيث كان يصعب تحديد عدده،إلى درجة أنه لما رآه سوندياتا ضنه سحاب قادم من الشرق.

وقد اختار سوندياتا هضبة "ساما لن" ذات السطح المستوي كمكان لالتقاء وتجمع جيشه، وكان هاجسه الأول هو قطع الطريق أمام جيش الصوصو لمنعه من العودة إلى الشمال، وزحف الجيشان إلىأن التقيا في كيرينا حيث بدأت المعركة منذ الصباحوكانت دموية حيث دامت يوما كاملا، وتقول الروايات بأنه أثناء المعركة ألقى سوندياتا صرخة مدوية في جيش سومنغورو دفعت جنوده إلى الاختفاء وراء قائدهم، فرد عليه سومنغورو بصرخة مماثلة (. وفي خضم هذه المعركة، ولما أصبح الوقت عصرا دون أن يتحدد المنتصر، وكانت المعركة متكافئة، حاول الرماة الفلاته التابعين لجيش سوندياتا إنهاء المعركة لصالحهم قبل أن تغرب الشمس، فعمدوا إلى القيام بعملية اقل ما يقال عنها أنها ارتجالية وانتحارية وغير محسوبة العواقب.حيث قاموا بالإلقاء بأنفسهم على جيش الصوصو دفعة واحدة لكنهم وقعوا في أسرهم، فوضعوا سوندياتا أمام موقف حرج حيث اضطر لدفع ضرائب باهظة من اجل تحريرهم. وهنا دقت الطبول من الجانبين معلنة عن بداية هدنة تسمح لكلا الطرفين بمعالجة جرحاهم، و دفن موتاهم.وفي المساء اجتمع سوندياتا بأصحابه وأخبرهم بأن الأمور الجدية سوف تبدأ مع غروب الشمس**[[49]](#footnote-49)**.

وبالفعل فمع غروب الشمس بدأ جنود الصوصو يتوجهون من خلال فرق صغيرة نحو جبال ماندينغ سالكين ممرات ضيقة ووعرة، مدفوعين في ذلك بضغط المعركة. ولما اشتدّ وطيس المعركة، وتأكد سومنغورو باستحالة تراجعه نحو الشمال قرر التوجه إلى ناريناأين كان من المنتظر أن يلتحق به جيش من المتطوعين المكون من حدادي منطقة بامبوك، ومن فلاته منطقة فيلادوغو (فولادوغو)[[50]](#footnote-50)، وهنا صرخ سوندياتا قائلا: ((لقد أنقذنا مندن)) وتيقن بأن رياح المعركة بدأت تهب في صالحه، لذا أمر بمطاردة العدو. وكان جيشه خلال تلك المطاردة يردد كلمة النظام ويتداولها وهي:(( كل واحد يبقى وراء قائده، ولا يجب القيام بأي عمل ارتجالي أو انتحاري.)). فلقد كانت تجري تلك المعركة في الظلام، فهي حرب الليل التي تجري لأول مرة في تاريخ مندن، كما أنها كانت حربا دموية أمعن فيها صيادو تيراماكان في التقتيل في صفوف جيش الصوصو، حيث حاصروهم وباغتوهم وأبادوهم عن بكرة أبيهم. خاصة بعدما قال لهم سوندياتا: « لا شفقة ولا رحمة بمن أذلوا وأحزنوا المندن أكثر من مرة». وفي ساعة متأخرة من الليل توقفت جيوش مندن عن ملاحقة جيوش الصوصو الفارين إلى نارينا، وتمركزوا في منطقة كري (Kri)، وهي قرية قديمة تقع في مرتفع، وذلك لمراقبة أي هجوم مفاجئ من طرف الصوصو**[[51]](#footnote-51)**.

في نفس الوقت، وذلك من اجل الاستعداد الجيد لملاحقة جيش الصوصو في نارينا. وفي صبيحة اليوم الموالي عندما دخلت قوات الصوصو إلى قرية نارينا، علم سومنغورو بان المعركة ستقوم على أرضها، وأنها ستكون المعركة النهائية و الفاصلة.

**ج. معركة نارينا:**

بعد فرار سومنغورو وجيشه من كيرينا، أصبحت قرية نارينا وجهتهم الجديدة، و ميدان المعركة المقبل. لذلك قام قادة الحرب المالنكي بالإسراع في توجيه فرقة عسكرية مكونة من 400 جندي إلى نارينا من اجل منع الجنود الصوصو من الخروج منها إلى غاية وصول بقية الجيش. وفي صباح اليوم الموالي قام سوندياتا بتوزيع قواته العسكرية بالطريقة التالية:

أرسل فرقة بقيادة تيراماكان باتجاه الشرق أين يوجد نهر السنكراني، بينما تشكلت الصفوف الأولى للجيش من فرق الهجوم الكاسح أو ما يعرف اليوم بمصطلح الكومندوس أو فرق التدخل، والتي قام بقيادتها هو بنفسه، وتدعمها الأذرع الثلاثة المتمركزة في نارينا ويقودها نان كومان جان. أما في الوراء فقد تمركزت القوات التي كان يقودها فاكولي، وكانت مهمتها تتمثل في منع قوات سومنغورو من التوجه نحو كيلوكورو بأي ثمن.

وعندما بدأت المعركة راح قادة جيش مالي يبحثون عن سومنغورو لقتله، لأنه كان بالنسبة إليهم الهدف الأسمى من هذه الحرب. لكن الأمر لم يكن بالسهولة التي تصورها المنديون، لأن سومنغورو حرص على ارتداء لباسا مشابها للباس قادته، كما تشبه بهم من خلال إطلاق شعره، وهو ما صعّب عملية التعرف عليه وتمييزه عن قادته. وقبل منتصف نهار ذلك اليوم الذي اندلعت فيه معركة نارينا، تبين بأن مسارها أصبح يميل لصالح جيش سوندياتا، بعدما أنهك جيش الصوصو بسبب الضربات الموجعة لجنود القادة كومان جان وكامان جان كامارا، بالإضافة إلى جنود القائد تيراماكان وصياديه المرفوقين بكلابهم.

وقد حرص هؤلاء على التواجد في صراعات فردية مع نظرائهم من قادة جيش الصوصو الذين كان عددهم يقدر بضعف عدد قادة المندي، وفرقهم وعدد جيشهم أكبر أيضا. لذلك كان كلما قتل قائد منهم يقوم بتعويضه قائد آخر محاولا استغلال تعب عدوه من المندي. ورغم براعة قادة جيش الصوصو في الصراعات الفردية، وتفوقهم من حيث التسلح، إلا أن قادة المندي تفوقوا عليهم، وبذلك فقد جيش الصوصو معظم قادته، فما إن حل الظلام ولم يعد هناك إلا نور القمر، حتى فقد جيش الصوصو تركيزه وانسجامه، واضطربت جنوده كليا، وقرروا التوقف عن القتال والاستسلام. بينما فضل البعض الآخر الانتحار رافضين فكرة التعرض للأسر من طرف جيش سوندياتا**[[52]](#footnote-52)**. أما الآخرون فقد سلكوا طريق الهروب طمعا في الخلاص من أتون المعركة.

وهكذا انهزم جيش الصوصو في هذه المعركة النهائية، ولم يبق من قادته إلا ثلاثة فقط وهم: الملك سومنغورو كانتي وأخوه صوصو بالا (Sosso bala)، وقائد آخر هو القائد الرهيب وروصو دابا (Worosso daba)**.** فبينما القي القبض على القائد وروصو دابا، فإن سومنغورو وأخاه لم يتم العثور عليهما وفرا تحت جنح الظلام، وأخذا معهما ثلة من أفراد عائلتهما وسلكا طريق الشمال الشرقي. وتقول الروايات الشفوية بأن سوندياتا عندما علم بخبر فرار سومنغورو صاح في قادته قائلا: «فاكولي وأنا سنتبع سومنغورو إلى غاية أن نقبض عليه ثم نعود إليكم إلى نارينا».

وقد توجه سومنغورو إلى أول مدينة تلي نارينا وهي قرية بونفان (Bonfan)**[[53]](#footnote-53)**،حيث لجأ إلى البائع الوحيد في هذه القرية واشترى منه حصانا جديدا بدلا عن حصانه المتعب، كما اشترى ثيابا جديدة و طعاما مقابل حفنة من ذهب التبر. وكان سوندياتا ومرافقيه يتعقبون خطواته إلىأن وصل إلى نهر جوليبا، حيث وجدوا سومنغورو يتهيأ لقطعه، ومنه سلكوا الطريق باتجاه غابة كيلوكورو، حيث أخبرهم صيادو البوزو بوجهتهم بعدما استأجر قربهم لعبور النهر، وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام كم هائل من الروايات والأساطير التي تذكرها الملاحم الخاصة بآل كيتا وسوندياتا. فبينما تذهب بعضها إلى القول بأنه بمجرد أن لحق سوندياتا وأصحابه بسومنغورو في منطقة كيلوكورو الغابية حتى تحول هذا الأخير إلى صخرة صماء.

هناك روايات أخرى تقول بأن سوندياتا وجه لسومنغورو ضربة بسهم مصنوع من ظفر الديك الأبيض مثلما أخبرته به أخته، وإذا بسومنغورو يختفي عن الأعين دون أن يتمكن أي أحد أن يعرف ماذا حصل له، ولم يبق منه إلا سواره المصنوع من الفضة الذي سقط على الأرض**[[54]](#footnote-54)**.

ومنذ ذلك الحين نبتت شجرة الباوباو داخل ذلك السوار الذي ما يزال أثره قائم إلى اليوم.حيث يوجد في منطقة كيلوكورو الحالية شجرة الباوباو وفي قاعدتها تحمل أثار خنق ينسبها الرواة إلى تلك الحادثة. وفي رواية أخرى نجد انه لما رأى سوندياتا بدأ سومنغورو يجري باتجاه الجبل حيث اختفى في ذلك الجبل.ولو أن كل هذه الروايات تحمل طابعا أسطوريا يصعب تصديق حيثياتها، إلا أن الشيء الذي نستخلصه منهما أن سومنغورو تمكن من الإفلات من قبضة سوندياتا وجنده، ولم يتم العثور عليه، وهو المصير الذي لم يكن ليتقبله المانديون، وهم الذين كانوا حريصين على أن يقع سومنغورو بين أيديهم حتى ينتقموا منه. لذلك فقد ذهب رواتهم إلى ربط عجزهم في القبض عليه بالقوي السحرية التي كان يتمتع بها ملك الصوصو. لكن وهما يكن فإن سوندياتا بعدما هزم جيش الصوصو وأزال إمبراطوريتهم، وألحقها بمملكة مالي، وضم كل المقاطعات والإمارات التي كانت تابعة لهم**[[55]](#footnote-55)**.

**د . توحيد بلاد مندي:**

بعدما انتصر سوندياتا على الصوصو واستحوذ على الأقاليم التي كانت خاضعة لسومنغورو كانتي، وخرب أرض الصوصو، وأخضع سكانها الذين تحولوا إلى عبيد له. تحول إلى زعيم إمبراطورية واسعة، خاصة بعدما أخضع كل الممالك الواقعة شمالا مثل سانساندينغ، ديا ديورة وباسيكونو. ووصل إلى غاية الأوكر حيث ضم غانة، لكنه لم يصل إلى ولاته احتراما لأهلها وعلمائها المسلمين، قبل أن يعود إلى الجنوب.بعد ذلك قام زعماء قبائل الماندينغ بتنصيبه إمبراطورا عليهم .وخلال حفل التنصيب خلع سوندياتا لباس الصيادين، وظهر في المنصة الشرفية أمام الزعماء لاستقبال آيات الولاء والطاعة بلباس المؤمن الذي يتمثل في عباءة بيضاء. لكن سوندياتا كان يدرك جيدا بأن زعامته لإمبراطورية مالي( أو مندن) لا بد أن تمر عبر توحيدها، حيث صرّح أمام الجماهير الغفيرة التي استقبلته بعد حربه مع الصووصو قائلا:«يجب أن نجعل من مندن بلدا موحدا كما كانت واغادو(غانة) أي متضامنة مثل أصابع اليد الواحدة، ذلك أن أصبعا واحدا لا يستطيع مسك حجرة لوحده وبتناسق مثلما هو الحال أيضا بالنسبة للأسنان واللسان والفم»لهذا دعا سوندياتا إلى إشراك الجميع في إدارة البلاد، كما دعا كل أمراء مندن إلى القدوم إلى الجمعية العامة التي أقامها لتقرير مصير مندن، والتي عرفت باسم جيكول-أوكيلن (Djekoul-Oukelen) ودعاهم إلى شرب الديغي (Dégué) باسمه[[56]](#footnote-56).

ومشروب الديغي هو حساء مصنوع من خليط الأرز والدخن والعسل والحليب، حيث يعتبر شربه بمثابة رمز للعهد أو التحالف مع من شرب باسمه، وهو بمثابة إعطاء كلمة الشرف للملك وإبداء الولاء والطاعة له. لكن بعدما حضر زعماء مندن لشرب هذا الحساء كتعبير منهم على موافقتهم على اعتلائه منصب منسا (أو الملك)، قرر الكثيرون منهم التراجع عن القسم وأداء اليمين وهو الوعد الذي قدموه لسوندياتا. وزعموا بأن هذا الأخير قد ولد البارحة القريبة(أي صغير في السن) فكيف يصبح ملكا، وكيف لهم أن يجلسوا في مجلسه الملكي، ويسمحوا له بأن يقرر أمورهم؟. ولقد كان من هؤلاء الأمراء الأوائل الذين تمردوا أولا على سلطة سوندياتا الأمير"كولا ماسا دن تورومي (Kola Massa den touroumé) والذي يعني اسمه تورومي ملك الكولا، وهو ينتمي إلى عائلة فاكولي. وقد رفض القدوم إلى اجتماع سوندياتا، وطلب منه أن يأتي بنفسه إلى إمارة كولا، ويعبر النهر. وهناك الأمير "ديغي ماكان ديغي ((Digui Makandigui الذي رفض الإيفاء بعهده بعدما أدى القسم، حيث رفع صوته عاليا أمام سوندياتا مصرحا بأنه يرفض سلطته بحجة أن هذا الأخير ترك جنود سومنغورو الرافضين القدوم إلى داكاجالان(كتغابا) بالرحيل، لذلك قال بأنه هو أيضا لا يريد القدوم إلى داكاجالان. أما الأمير الآخر الذي أعلن تمرده فهو نياني ماسا كامارا (Niani massa kamara) الذي أعلن استنكاره ورفضه لسلطة سوندياتا، وصرح قائلا: « ما هو السبب الذي يجعلني أقبل سلطة داكجالان عليّ ؟ ».

إن ماغان سوندياتا كان ولدا عندما كنت أتربع على عرش المملكة، أي أنني أول من ملك مندن، وأوّل من سكنه،فلا أحد سبقني إلى هذه الأرض، فلا يحق لسوندياتا أن يعلن نفسه ملكا ويستدعيني إلى قصره لأتلقى أوامره لمجرد أن طرد جيوش سومنغورو، فلن أذهب أبدا لتلبية دعوته)). وعندما بلغت إلى مسامع سوندياتا هذه الأوضاع صاح قائلا: (( إننا أقواس دون رماة،وإنهم رماة دون معلم)) في إشارة إلى أن سوندياتا يوجد في وضعية الزعيم الذي يملك الكثير من الأسلحة لكن بدون رجال يستخدمونه.أما هؤلاء الأمراء المتمردون فإنهم يشبهون الجنود الذين لم يجدوا قائدا يوجههم ويضبط أمورهم. فأجابه القائد فاكولي بأنهم ينتظرون أوامره لتنفيذها، وهنا قام سوندياتا بإعداد خطة لإخضاع المندن ككل، وتقوم على محاصرة القرى المشهورة بقوتها وانتمائها إلى نفس العشيرة في نفس اليوم ونفس الساعة، وحرص على أن تكون قوات مندن قريبة من بعضها البعض[[57]](#footnote-57).

وبذلك فقد تمكن القائد تيراماكان من إلقاء القبض على كولا ماسا دن تورومي، قبل أن يطلب هذا الأخير المنفى، حيث غادر مندن وتوجه إلى بندوغو (Bendougou) الواقعة على الضفة اليمنى لنهر باني، وأسس هناك قرية ما تزال موجودة إلى اليوم تحت اسم تورومي لا أي (عند تورومي). كما ألقى القبض على الأميرين "ديغي ماكان ديغي" و"كولن ماسا توروكيلن" وقدمهما لسوندياتا، أما أمير آل كامارا نياني ماسا كامارا فقد قبض عليه القائد فاكولي و قتله[[58]](#footnote-58).

واستكمالا لعملية توحيد المندن، ومن أجل إضفاء نوع من القداسة على تلك العملية، قام سوندياتا كيتا بزيارة مدينة كيتا، وذلك لتحقيق عدة أهداف وغايات تتمثل أولا في محاكاة العظماء وقادة الجيوش والملوك في السودان الغربي الذين كانوا دائما يطهّرون أنفسهم، ويصلون من أجل رخاء وعظمة بلدانهم منذ عهود سحيقة، وذلك عن طريق الاستحمام في مياه منبع موكويا - جي (وتعني ماء الشخصية) والموجودة في الجبال التي تقع فيها مدينة كيتا. أما الهدف الثاني لهذه الزيارة فهو التقرب من آل كمارا وكسب رضاهم، بحكم أن هذه المنطقة يتزعمها آل تونكارا وهم حلفاء رجال الدين من آل كمارا عن طريق المصاهرة. وبما أن آل كمارا يعدون أقدم من سكن هذه البلاد، فإن دعمهم لسوندياتا سيكسبه قوة أكثر.

ونشير هنا إلى أن الإسلام قد لعب دورا جوهريا في توحيد قبائل الماندينغ، وذلك لخصوصية هذا الدين الذي ينزع إلى الطابع الإنساني، البعيد عن الحدود القبلية الضيقة التي رسمتها الأعراف والتقاليد الوثنية، ولا أدل على ذلك ما تذكره الروايات الشفوية من أن عائلة تونكارا التي احتضنت سوندياتا في ميما عندما كان في المنفى، كانت أسرة مسلمة**[[59]](#footnote-59)**.

وبالإضافة إلى ذلك نجد بأن سوندياتا عندما زار كيتا، فقد كان برفقة عدد كبير من الفقهاء ورجال الدين، فضلا عن النبلاء والفرسان والرماة و رؤساء الطوائف. وكانت أول العشائر التي حالفته وعقدت له ولاء الطاعة، هي العشائر التي كانت أول من اعتنق الإسلام في مندن ونشرته في السودان الغربي، وهي آل سيسي، آل كامارا، وآل تونكارا. وحسب نبلاء مدينة كيتا فيكون سوندياتا قد أسرّ لهم عن نيته في أن يجعل مدينتهم عاصمة لإمبراطورية، قبل أن يغير رأيه لأسباب إستراتيجية وسياسية.

**2. النشاط العسكري لسوندياتا:**

**أ. غزو الجولوف:**

بعد معركة كيرينا الشهيرة، وبعد وفاة الملك "نياني ماسا كامارا"، ومن بعده ابنه "ماسا دن ني كامان"لم يعد هناك من ينافسه على عرش مندي. حيث بدأ سوندياتا يطمح إلى ما هو أكبر من أرض المندي، حيث بدأ يتطلع إلى التوسع غربا باتجاه السنغال، ولقد كان قد اختار داكاجالان (كنغابا) مقرا له بعد عودته من كيرينا، أين قام بعقد جمعية عامة ضمت عدد كبير من أهل مندن، حيث شملت بالإضافة إلى السكان، قادة الجيش، ونبلاء البلد**[[60]](#footnote-60)**.

ألقى سوندياتا ام جنوده خطبة شرح لهم فيها ما حدث له أمام ملك الجولوف منسا جولوفين، والإهانة التي تلقاها منه، وتتلخص الحادثة في كون سوندياتا أراد أن يشتري أحصنة لفائدة جيشه، فأرسل لهذا الغرض أخاه غير الشقيق "ووري - ووري سولوماني" إلى منطقة كايور في السنغال. ولما اشترى هذا الأخير الأحصنة المطلوبة ودفع ثمنها ذهبا، مرّ في طريق عودته بأرض الجولوف التي كان ملكها منسا جولوفين مقيما بمنطقة باسي - سيرا -سون - كورو (Bassé - (Sira- Soun-Koro) وكان حليفا سابقا لسومنغورو**[[61]](#footnote-61)**.

ولما وصل ووري سولوماني إلى عاصمة الجولوف، وداهمه الليل بها، أراد أن يبيت هناك، فربط أحصنته بإحدى أساسات حصون المدينة ليطعمها ويشربها . ولما رأى الملك منسا جولوفين ذلك العدد الهائل من الأحصنة المربوطة، وعلم بأنها موجهة إلى ملك مندن سوندياتا كيتا غضبن واستولى عليها جميعها بالقوة، وأنكر الاعتراف بوجود ملك آخر على مندن غيره. بل اعتبر سوندياتا كيتا مجرد صياد لا يصلح إلا لحرفة الصيد، وقدم ثلاثة أزواج من الصنادل المصنوعة من جلد التيتل**[[62]](#footnote-62)**إلى ووري سولوماني، بالإضافة إلى تسعة كلاب، وطلب منه أن يأخذها إلى سوندياتا ليستعملها في الصيد وعبور الغابات والأحراش، بدلا من تلك الأحصنة التي لا تليق إلا بالملوك. وذلك في إشارة إلى منه إلى أن سوندياتا لم يكن إلا صيادا وليس ملكا، وبالتالي جدير به ممارسة مهنة أجداده وهي الصيد، وليس ركوب الخيل**[[63]](#footnote-63).**

عندما عاد شقيق سوندياتا "ووري ووري سولوماني"إلى كنغابا وهو محمل بجلود التيتل والكلاب ومطأطئا رأسه، وأخبر الملك سوندياتا بالإهانة التي حلت بهم، دعا هذا الأخير إلى عقد اجتماع لمناقشة الأمر والبحث عن رد الفعل الملائم لهذه الحادثة. ولقد شرح سوندياتا تفاصيل الحادثة أمام الحاضرين قائلا لهم: «إن هذه الإهانة هي تحدي موجه إلي شخصيا، وبالتالي فإنه يعود إليّ وحدي أمر غسل هذه الإهانة، فإذا لم أفعل هذا بنفسي فإن شعبي سيقول بأنه ليس لديه قائد يستحق هذا الاسم»، لكن القائدان فاكولي و تيراماكان اعتبرا بأن أمر تأديب جولوفين منسا لابد أن يوكل إليهما، وأصرا على أن يمنحهما سوندياتا شرف قيادة الحرب ضد مملكة الجولوف. حيث نطق فاكولي قائلا: « إن خوضك الحرب بنفسك يعني أنك لا تثق في رجالك، وأنه ليس لك رعية تليق بمقامك، فاترك لي أمر القيام بهذه الحرب، ولسوف يعرف جولوفين منسا بأنه لا يمكن إهانة صياد دون عقاب». ثم رد عليه تيراماكان قائلا: « بل أترك لي أمر هذه الحرب يا فاكولي وسوف أبيّن لجولوفين منسا ما هي مهنة الصيد»، ثم ازداد التنافس بين قادة الجيش حول من يقود الحرب ضد مملكة الجولوف، بحيث انضم إليهم كل من القائد "فاران كامارا" و"مندن بوغاري" مما أدى إلى حدوث اشتباكات بينهم**[[64]](#footnote-64)**.

لكن يبدو من خلال الروايات الشفوية بأن القائد تيراماكان كان أكثرهم إصرارا على قيادة هذه الحملة التأديبية على مملكة الجولوف، حيث تذكر هذه المصادر بأنه لجأ إلى التهديد بالانتحار إذا لم يسمح له سوندياتا بقيادة هذه الحرب، حيث قام تيراماكان بحفر قبره بيده، وطلب من الناس أن يلفوه داخل كفن ودفنه حيا. وهنا قام أحد الرواة الشفويين لسوندياتا وهو جيلي دورا (Djeli dora)، وأخبر سيده بما ينوي تيراماكان القيام به وقال له: « إذا قتَلْتَ كلبك الشّرس فإن كلب رجل آخر سيعضُّك، لذا فإنني أرى انه يجب أن ترسله للقيام بهذه الحرب، فإنه سيزيد من شهرتك»، وهنا سمح سوندياتا لقائده تيراماكان بقيادة الحملة لغزو الجولوف قائلا له : «اهدأ يا تيراماكان، فأنت الذي لم يدّخر جهدا أبدا من أجل مندن، سوف أعهد إليك بحرب الجولوف... فإذا رفض السيف القيام بهذه الحرب فإنك سوف لن ترفض»**[[65]](#footnote-65)**.

وهكذا أخرج تيراماكان من قبره، ومزق كفنه، وبدأ يتهيأ للحرب، فجهّز جيشا قاده بنفسه، وتوجّه إلى مدينة "باسي - سرا - كورو" عاصمة مملكة الجولوف، وعندما وصل إلى قصر الملك منسا جولوفين طلب هذا الأخير من تيراماكان مهلة من أجل التهيؤ للحرب، لكنه لم يكن يرد إلا ربح المزيد من الوقت لتهريب الكنوز التي تركها أجداده والمعروفة باسم"فاران" والتي كانت تمثل بالنسبة إليه الدعم الحقيقي لشرعية ملكه.ولقد دخل منسا جولوفين من الباب السري، واختبأ في أحد الأروقة الموجودة بين الجدران الخلفية للقصر بعدما أخذ معه الكنوز المتمثلة في الآثار التي تركها أجداده وهي سُلَّم ورمح ذهبيان بالإضافة إلى رمح فضي، وبذلك تمكن من الهروب من مواجهة تيراماكان، واستطاع الخروج من أسوار المدينة. وبعد انتظار طويل قرر تيراماكان شن هجوم على العاصمة والقصر،وهنا تشير الروايات الشفوية بأن جنوده ارتكبوا مجازر رهيبة في حق سكان المدينة، ولم يسلم من بطشهم لا العبيد ولا الأحرار ولا الأطفال، فحولوا المدينة إلى أطلال**[[66]](#footnote-66)**.

بعد ذلك توجه تيراماكان وجنده لتعقب منسا جولوفين الهارب إلى الغابات، أين وجدوه مختبئا داخل حفرة بحيث لم يكن يظهر إلا رجليه، بينما كان رأسه داخل الحفرة. فأخرجه تيراماكان من حفرته،ثم قام بقطع رأسه بالرّغم من توسُّلات منسا جولوفين بإبقائه حيا، بعدها قام تيراماكان بفصل رأسه عن جسده ووضعه داخل كيس، ثم عاد إلى كنغابا بعد أن خضعت له البلاد، وقدم له نبلاء الجولوف عدة هدايا، كما أعاد معه إلى مندن الخيول التي كان قد صادرها ملكهم، بالإضافة إلى العبيد الذين أسروهم.

وعندما عاد تراماكان تراوري من حملته ضد الجولوف عزل نفسه عن الناس لمدة أسبوع في معسكره، دون أن يقابل سوندياتا أو يقدم له نتائج حملته التي كلفه بها.وبعد مرور ثمانية أيام أخبر سوندياتا بأنه سيستقبله في موكب عظيم في الساحة الكبيرة وسط قادته، وهناك قدم تيراماكان لإمبراطور مالي غنائم الحرب من عبيد وإتاوات وهدايا، فذهل سوندياتا، وتأكّد بأن الإهانة التي وجهها له ملك الجولوف قد غسلت، كما أن الإمبراطورية اتسعت بمملكة إضافية، وأصبحت تمتد من نهر جوليبا إلى المحيط الأطلسي باتجاه الغرب، أين قام تيراماكان بغسل سيفه في مياهه باسم سوندياتا،كما أعلن نفسه سيّدا لأرض الغرب.حيث أراد سوندياتا أن يكافئ خادمه الوفي والمخلص أمام الماندي المجتمعين في الساحة الكبيرة، فمنح أراضي الغرب كلها كإقطاع لتيراماكان**[[67]](#footnote-67)**.

**ب.إخماد ثورة ماندي الجبال:**

يلقبون عادة بماندينكا فينغ (Mandinka – fing) أو المالنكي السود، ويشتهر هؤلاء المندينكا القاطنين في الجبال بفخرهم وكرمهم وشدتهم، وعنادهم الشديد.كما أنهم كانوا يعتقدون بأن المالنكي الصغار، الموجودين على ضفاف النهر هم نتاج وجودهم، فلقد كانوا يشعرون بأنهم هم الأصل.

لهذا فقد اندلعت ثورات في كامل الجبل، وهي لم تكن ثورة ضد سلطة سوندياتا بقدر ما كانت ثورة ضد غطرسة وتكبر مالنكي النهر، الذين كانوا يصفونهم بالنسوة اللاَّئي فتحن أبواب الوطن أمام الحدادين الصغار من آل كانتي الصوصو. ومن أجل إعادة هؤلاء الرجال الأشداء إلى الصواب، قام سوندياتا بدعوة مان كومان جانوهو أحد قادته الذين يتوسم فيهم الطيبة والواقعية والإخلاص والتمسك بوحدة مندن. وبكثير من الدبلوماسية والواقعية استطاع نان كومان جان(الذي ينحدر من مالنكي الجبل) أن ينجز مهمته دون صعوبات، وراح يردد أمام هؤلاء الجبليين بأن سوندياتا يفكر فيهم اليوم أكثر من أي وقت مضى، لأن العمل الحقيقي لم يبدأ بعد، وبأنه متأكد بأنهم في الوقت الملائم سيكونون أهلا للشهرة التي نالوها كرجال شرف وشجاعة**[[68]](#footnote-68)**.

وبذلك استطاع سوندياتا أن يضمهم إليه بدون قتال، بل أصبحوا موجودين في كل غزواته،ولم يبق من مقاطعات الجبال سوى ثلاث مقاطعات، وهي: إمارة بنتينيا (Bintinnia)، وعاصمتها كامالي في منطقة صوبارا، وإمارة بندينغا (Bindinga)، وإمارة كينييبا (Kinieba). ونشير هنا إلى أنه بينما تم استرجاع الإمارتين الأخيرتين (وهما بندينغا وكينييبا) إلى صف سوندياتا من طرف المنقبين عن الذهب، ومن طرف جيش تراماكان، فإن إمارة بنييتا فقد استعصت عليه، وكان لا بد من بذل طرق أخرى لإقناعها بالرجوع إلى حظيرة إمبراطورية سوندياتا.

**ج. غزو بلاد المور (الطوارق):**

بعد غزو سومنغورو لمملكة غانة وتخريبها، اضطربت التجارة بين الشرق والغرب. كما حدثت القطيعة بين الشمال والجنوب، ولقد رأينا كيف انتشرت الفوضى والنهب في المناطق الشمالية للمملكة، بالإضافة إلى الجفاف الذي أدى إلى نقص الرزق، فتفاقمت ظاهرة الاستعباد التي استغلها المور لإنعاش تجارة العبيد**[[69]](#footnote-69)**.

وكان سوندياتا قد اتخذ قرارا بمنع العبودية في كامل السودان الغربي، لذلك قرر محاربة هؤلاء المور الذين كانوا يخالفون أوامره. لكن القائد فاكولي دومبيا طلب أن يترك له أمر تأديبهم بحكم معرفته الجيدة بهم، على أساس أنه كان قد حاربهم كثيرا عندما كان قائدا لجيش خاله سومنغورو. وقد طلب أن ينظم إلى جيشه محاربي مالنكي الجبال المعروفين بشجاعتهم وإقدامهم، والذين لا يتراجعون أبدا أمام العدو. وبذلك كوّن فاكولي جيشا من النخبة، وحرص على تدريبه بنفسه، ثم توغل في منطقة الساحل، وبدأ بالهجوم على المور ليلا ونهارا، ونصب كمائن لقوافل العبيد. فلقد كان يقطع أوتار أرجل الإبل ورؤوس قطّاع الطرق، كما هجم على أسواق العبيد وخرَّبها، و قام جنود غانة ونيما الذين انضموا إلى جيشه بزرع الرعب في صفوف المور، وامتدت حملة فاكولي إلى غاية الحدود القصوى لبلاد تيشيت. ولكي يختم حملته قام فاكولي بحرق الأسواق الكبرى المستعملة في تجارة العبيد سواء كانت تابعة للسوننكي أو للمور، أما المعارضين لحملته فقد رش بيوتهم وأحصنتهم بالزبدة المذابة وأشعل فيها النار**[[70]](#footnote-70)**.

**د. توسعاته نحو الغرب وتأسيس مملكة كابو (غمبيا):**

شكلت مملكة غمبيا منطقة جذب هامة للمندي،ذلك أن هذه المنطقة شكلت في البداية مأوى للاجئين الصوصو، الذين بدؤوا يستقرون في منطقة فوتا جالون، وعلى ضفاف نهر غمبيا بعد هزيمة سومنغورو أمام سوندياتا.كما أن سوندياتا كان يحاول منع أمراء الصوصو من بعث مملكتهم من جديد في هذه المنطقة التي لم تكن سلطته قد وصلت إليها بعد. لهذا جهز سوندياتا جيشا بقيادة تيراماكان تراوري، وتوجَّه نحو المناطق الواقعة غرب مملكة مالي، مستفيدا من مناجم الذهب في بوري وبامبوك التي أصبح سيدا عليها لتدعيم جيشه. وسالكا نفس الطريق التجاري الذي يؤدي من بوري إلى غاية نهر السنغال، ومنها إلى الغرب، مرورا بمنطقة كيتا، وتمر بالسنغال عند منطقة كونديورو (Goundiourou)، جنوب منطقة كايس (Kayes)**[[71]](#footnote-71)**.

بدأ تيراماكان يفتح الإمارات ويؤسس بعضها، وأخذ أتباعه يتكاثرون، خاصة وأن سوندياتا كان قد زوده بحوالي 35 امرأة انضمت إلى حملته، فشكلوا بذلك أهم هجرة مالنكية باتجاه الغرب. وقد عبر تيراماكان نهر غمبيا، وكان كلما فتح مدينة أو أسس أخرى إلاّ وترك عدد من أتباعه فيها، مثل مدينتي "كابندو" و"بايونكو" في إمارة باثيانا وهي أرض غنية جدا،كما أسس مدينة "بيراد" وغيرها. وقد زار في طريقه بلاد جاكاو التي يسكنها السيرير من آل كيلوار(Les Guélowars) في إقليم سيني إلى غاية أن وصل إلى داكارو وهو إقليم لم يكن مسكونا من قبل، حيث كان عبارة عن أدغال وغابات كثيفة، ومنها توجه إلى منطقة ندار (Ndar)**[[72]](#footnote-72)**وعهد بها إلى القائد "لامين سيلا" بحمايتها ، ثم توجه إلى مدينة"ساتوما". وهنا قسم البلاد بين قادته وأبنائه وأقاربه، مؤسسا بذلك مملكة كابو(بعدما جمع ابن أخيه وأبنائه وحدثهم عن كيفية حكم البلاد. وبعدها شعر بقرب نهايته بعد صراع لمدة سنتين مع المرض، فتوجه إلى ضفاف نهر غمبيا حيث توفي هناك، قبل أن ينقل جثمانه إلى مدينة باسي التي دفن فيها سنة 1265م. وهكذا مهد سوندياتا بفتوحاته لبناء إمبراطورية تضم جميع أرض السودان الغربي باستثناء إمارة كوكو(سنغاي). كما أن الإمارات الإسلامية الأخرى لم تقف في وجهه.

**3.الإنجازات السياسية والتنظيمية:**

**أ.إنشاء العاصمة:**

بعد النجاحات العسكرية التي حققها سوندياتا قام بإنشاء عاصمة جديد وحس بدولافوس فإن موقع كنغابا أصبح غير ملائم بالنسبة للاتساع الذي أصبحت تتربع عليه الإمبراطورية. لذلك قرر أن يبني عاصمة جديدة. ويشير المؤرخ السوداني محمود كعت بأن المدينة التي كانت تمثل عاصمة إمبراطورية مالي الأولى تسمى جارب أو (دياريبا) ، لكن مترجما كتابه إلى الفرنسية وهما دولافوس وهوداس، يذهبان إلى أن هذه التسمية ما هي إلا الاسم الذي يطلقه الماندينغ على نهر النيجر، والذي يعني بلغة المندي "نهر الرواة الشفوين"، والذي أطلق أيضا على اسم المدينة المعروفة بكنغابا.ويعود سبب تسميتها باسم هذا النهر إلى قربها الشديد منه**[[73]](#footnote-73)**. كما تذكر هذه أيضا باسم جوليبا، وهو كذلك اسم إحدى فروع النيجر.

ويبدو أن العاصمة القديمة لمالي، وعلى اختلاف تسمياتها،كانت تقع على الضفة الشمالية للنيجر الأعلى في منتصف الطريق بين مدينتي سيغيري وبماكو. وقد أدت الحفائر الأثرية التي أجريت في نهر النيجر إلى كشف مكان تلك المدينة التي تقع عند ملتقى نهري النيجر والسنكراني، في مكان يدعى "مالي تومبو"أي أطلال مالي، حيث لا تزال توجد آثار تجمع سكاني قديم يعتبره أهالي المنطقة مقر حكم منسا مالي القديم. لكن الشيء الذي يثير الجدل هو موقع العاصمة الجديدة لسوندياتا، ذلك أنه ذكرت عدة أسماء لهذه العاصمة وعدة مواقع، لدرجة أصبحنا فيها غير قادرين على تمييز ما هي المدينة التي عاصمة إمبراطورية مالي، حتى اعتقد المؤرخ الفرنسي شارل مونتاي بوجود عدة عواصم، وبالتالي عدة إمبراطوريات حملت اسم مالي**[[74]](#footnote-74)**.

وتذهب آراء الدارسين اليوم، إلى أن إمبراطورية مالي قد عرفت عدة عواصم فيما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/11و16م(. كما تذهب كل الدراسات إلى اعتبار مدينة نياني التي تحدث عنها العمري ومن بعده ابن بطوطة ) والقلقشندي، هي عاصمة الإمبراطورية طيلة القرنين السابع والثامن للهجرة/13 و14م، أي أنها تكون العاصمة الجديدة للإمبراطورية التي أنشاها سوندياتا. ولقد عرفت عاصمة مالي عند المصادر العربية بملل أو ملي، لكنها أكيد لم تكن نفس المدينة التي تحدث عنها البكري سنة 461هـ/ 1068م، والإدريسي سنة 549هـ/1154م، حيث لم تكن في عصرهما سوى مجرد قرية كبيرة، كما أنهما كانا يتحدثان عن كنغابا وليس نياني. ويذهب بينغر(Binger) نقلا عن أحد المسافرين يدعى "الحاج مامادو لمين"، والذي التقاه عام 1887م، بأن عاصمة إمبراطورية مالي كان جنوب غرب نيامينا، على الضفة اليسرى للنيجر.

أما دولافوس فيرى بأن عاصمة سوندياتا الجديدة بعد كنغابا ما هي إلا نياني، والتي هي نفسها التي تحولت من طرف اللسان المالنكي إلى مالي، أو مللي، وجولها البرتغاليون إلى مندي(**[[75]](#footnote-75)**).وإذا رجعنا إلى المصادر العربية، فإننا نجد من يذكر مدينة نياني باسم مالي مثل ابن بطوطة، بينما نجدها عند العمري باسم ييتي حيث يقول: ((وقاعدة الملك بها هي مدينة ييتي )). كما ذكرها ابن خلدون باسم بنيبينما نجدها عند محمود كعت باسم ينع**[[76]](#footnote-76)**. لهذا نجد بأن موني(Mauny) ورغم اعترافه بأن مشكلة موقع عاصمة مالي الجديدة يبقى مطروحا، إلا أنه يفضل أن يعتبر المدينة التي زارها ابن بطوطة،وكان يؤمها التجار خلال القرن الثامن للهجرة/14م هي عاصمة سوندياتا الجديدة (.

وتقع مدينة نياني هذه على الضفة اليسرى للنيجر، وتميل قليلا باتجاه الغرب من الطريق الواصل بين مدينتي نيامينا وكوليكورو، أي شرق مدينة كونينا الحالية.وبالتالي يمكن أن نقول بأنها تكون قد وجدت بالقرب من المكان الذي يعرف اليوم بديالاكورو (Dialakoro) بجمهورية غينيا. وعموما فإن سوندياتا قرر نقل عاصمته من كنغابا (أو داكاديالان) ـ وهو مقر إقامة أجداده من آل كيتا منذ القدم إلى نياني مباشرة بعد انتصاره في معركة كيرينا، ويعود سبب ذلك على ما يبدو إلى عوامل أمنية وإستراتيجية بالدرجة الأولى، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

**أولا:** عدم شعوره بالأمن في قريته كنغابا، خاصة وأن نجاحه كان محط حسد لكثير من الحاقدين من أفراد عشيرته.

**ثانيا:** الموقع الاستراتيجي لنياني. فلقد جمع موقعها بين الحصانة والمناعة، بوقوعها بين الجبال، وبين الاتساع والخصوبة لأنها تعد سهلا واسعا محاذ للنهر.بالإضافة إلى مجاورة نياني للغابة التي تعد مصدرا للكولا وزيت النخيل، والذهب. وهي سلع كانت كفيلة بضمان تدفق التجار المالنكي عليها ،لبيع الأقمشة والمواد النحاسية، مقابل تلك السلع الاستوائية الثمينة.وبذلك تحولت نياني من مجرد مدينة صغيرة إلى عاصمة لإمبراطورية كبيرة ذاع صيتها في أنحاء العالم، خاصة بعدما أصبحت ملتقى لطرق القوافل المتجهة نحو الشمال الشرقي إلى سيلا،والمعروف بطريق منديه. فأصبحت قبلة للتجار الزنوج والمغاربة على حد سواء، وتحولت بذلك إلى عاصمة سياسية واقتصادية للإمبراطورية.

**ب.تنظيم الدولة:**

**\* تشريعات كوروكان فوكا:**

تنسب الروايات الشفوية لسوندياتا كيتا إنشاء أول دستور عرفه السودان الغربي في تاريخه، ويعد هذا الدستور الذي أنشئ في قرية "كوروكان فوكا " عام 633هـ/ 1236م حسب هذه الروايات، بمثابة الميلاد الحقيقي للأمة المالية بأكملها**[[77]](#footnote-77)**.

وتقع قرية كوروكان فوكا قرب مدينة كنغابا، على بعد200 كيلومتر جنوب مدينة بماكو الحالية، اختارها الماليون لتكون مقرا لميلاد دستورهم الذي سوف يقنن قواعد عرفهم ومحرماتهم التي كانت تنظم العلاقات فيمنا بين عشائرهم، وبين عشائر الغرب الإفريقي الأخرى. فكان ذلك الاجتماع إذن بمثابة جمعية تأسيسية حقيقية للإمبراطورية المالية الناشئة. ولقد كانت فكرة تنظيم ذلك الاجتماع من اقتراح كبيري الرواة الشفويين الخاصين بسوندياتا كيتا وهما:بالا فاسيكي كوياتي(Bala fassék Kouyaté)، وكالاجي سونغوي دياباتي(Kaladjé Songhoï Diabaté) بالإضافة حكام الإمارات المندية**[[78]](#footnote-78)**.

لكننا نضن بأن سوندياتا كانت له النية أيضا بعقد هذا المؤتمر، وتزويد إمبراطوريته بميثاق حتى قبل أن يقترح عليه الأمر من طرف هؤلاء الرواة والأمراء، ذلك أن رواة كيرينا يذكرون بأن سوندياتا كان قد أطلع نبلاء مدينة كيتا عندما زارهم من أجل الاستحمام في بحيرة "موكويا - جي" بأنه سيعلن قريبا عن ميثاق أساسي لكل بلاد مندن، وقد ذكر ذلك باللغة المالنكية حيث سماه مندن باسيكي كان (Manden bassigui kan). وانعقد اجتماع كوروكان فوكا سنة633هـ/ 1236م، أي بعد سنة واحدة من انتصار كيرينا الشهير، لكننا لم نجد في المصادر الشفوية اليوم والشهر الذي انعقدت فيه.وتشير هذه المصادر إلى أن قرية "كوروكان فوكا" أخذت اسمها من هذا الحدث السياسي والتاريخي الهام، فهي تتشكل من ثلاث كلمات مالنكية هي:كورو وتعني جمعية، كان وتعني اليمين وفوكا التي تعني الفرجة في الغابة.

و بهذا تكون هذه الكلمة المركبة تعني (الجمعية التي أدي فيها اليمين). وقد انعقد هذا المؤتمر تحت القيادة السامية لسوندياتا، وكان نائبه هو أخوه غير الشقيق مندي بوري، ومحاط بأربعة من رؤساء قبائل هم : سيبي كاماجان كامارا، تابون نغابا فران كامارا، فاكولي كوروما أو(دومبيا) وتاولي تونكارا (وهو الأخ الأصغر لملك نيما وهو نيما موسى تونكارا). حيث يعتبر هؤلاء الرجال من اقرب الناس إلى سوندياتا، باعتبارهم كانوا هم من رافق سوندياتا إلى منفاه بميما، ودعموه في كل قراراته.

ولقد تمخض عن اجتماع كوروكان فوكا أربعة وأربعين قانونا أو قرارا**[[79]](#footnote-79)**. شملت تنظيم السلطة السياسية، وحددت العلاقات الاجتماعية، ونصت على المبادئ الأساسية الموجهة والمنظمة للحياة اليومية في مندن. كما قررت هذه الجمعية اختيار إمبراطور مالي، حيث نودي بسوندياتا رسميا منسا (وتعني ملك باللغة المالنكية)، أو ماغان(أي إمبراطور بلغة السوننكي)، وكان ذلك أول قرار يتخذ في هذا الاجتماع. وإذا أردنا تصنيف قوانين دستور كوروكان فوكا إلى ميادين مختلفة.

**المحـــور الثاني**

**أبو بكر الثاني الملك المغامر**

**أولا : حقيقة نسبته إلى فرع سوندياتا كيتا:**

**ثانيا: مناقشة حقيقة اكتشافه للقارة الأمريكية:**

**1.ما ذكرته المصادر العربية حول الموضوع:**

**2.بعض الأدلة حول نجاح رحلته**

**المحور الثاني**

**أبو بكر الثاني الملك المغامر**

**أولا : حقيقة نسبته إلى فرع سوندياتا كيتا:**

على الرغم من أن هذا الملك ينتمي إلى عائلة كيتا، لكن هناك تضارب وغموض كبيرين حول هذه الشخصية، التي تعد من أكثر الشخصيات غموضا وإثارة للجدل من بين أفراد عائلة كيتا التي حكمت مملكة مالي الإسلامية، أول المسائل التي لازلت محور جدل هو علاقة هذا الرجل بالإمبراطور الأسطوري و مؤسس مملكة مالي سوندياتا كيتا، الذي ينحدر إليه بدون شك.

تقول المصادر المكتوبة و الشفوية بان كان لوالد سوندياتا فاراكورو ماغان كيتا ثلاث زوجات**[[80]](#footnote-80)**،كل واحد منهن أنجبت له ولدا وبنتا، الأولى هي ساسوما بيريتي، وهي والدة منسا دنكران توما، والثانية هي سوغولون كيجوكو كوني وهي والدة سوندياتا، أما الثالثة فهي ناماجي كامارا، وهي والدة مندي بوري الأول وأخته مريم جومارو. وقد نشأت صداقة ومحبة كبيرة بين سوندياتا وأخيه غير الشقيق مندي بوري (والملقب بأبي بكاري الأول)، وكان خير سند له خلال لجوئه إلى المنفى عند ملوك ميما**[[81]](#footnote-81)**، لذلك عندما أبعد محمد بن قو عن عرش مالي لجأ الماليون إلى تنصيب ابن عمه مندي بوري الذي هو أبو بكاري الثاني استنادا إلى ميثاق كوروروكان فوكا، الذي ينص على أن وراثة العرش لا بد أن تنتقل إلى الأخ الأكبر وليس إلى الابن في حالة وجود أحد إخوة الملك حيا. ورغم أن جل المصادر الشفوية بالإضافة إلى ابن خلدون يجمعون على أن أبا بكر الثاني هو ابن أخ سوندياتا إلا أن دولافوس يخالفهم ويذهب إلى أن أبا بكر الثاني هو ابن إحدى أخوات سوندياتا(**[[82]](#footnote-82)**). ورغم أنه لم يقدم لنا مصدر معلوماته كعادته، إلا أننا نعتقد بأنه إما اعتمد على بعض الروايات الشفوية التي يقول بأن أبا بكر الثاني هو نفسه أبو بكر الأول الذي تقول بأنه ابن سوندياتا ووالد منسا موسى، وتعطيه اسم آخر هو"سون فاكا لاي(Son faga laye)**[[83]](#footnote-83)** أو أنه أخلط بين أبي بكر الثاني هذا، وبين أبي بكر الأول الذي ذكره ابن خلدون وقال أنه ابن بنت سوندياتا، حيث يقول في هذا الشأن ما يلي: (وولي عليهم من بعده(أي منسا خليفة) سبط من أسباط ماري جاطة يسمى أبا بكر، وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت)**[[84]](#footnote-84)**.

فابن خلدون إذن ذكر بأنه ابن بنت سوندياتا، ولكنه شبه ذلك بما يفعله العجم بتوريث ابن الأخت، وهنا نعتقد بأن دولافوس عندما تعامل مع هذا النص أخطا خطأين، الأول عندما اعتبر أن الرجل الذي قصده ابن خلدون هو أبا بكر الثاني، والخطأ الثاني عندما ترجم النص بطريقة خاطئة بحيث فهم من تشبيه ابن خلدون طريقة توريث ابن البنت، بطريقة الأعاجم بتوريث ابن الأخت على أن أبا بكر هو ابن أخت سوندياتا. ورغم ذلك فإن الكثير من المؤرخين الغربيين نقلوا عنه ذلك. وعموما فإن الملك أبا بكر الثاني لم يكن شخصية مشهورة مثل أبنه منسا موسى، لكنه نال نصيبا وافرا من التمجيد لدى الروايات الشفوية، التي أضفت عليه صبغة أسطورية عندما ذكرت بأن هناك مُنجّمة أخبرت والدته قبل أن يولد بأنها ستنجب مولودا سيكون ملك المندينغ في المستقبل**[[85]](#footnote-85)**.

ولد أبو بكاري الثاني في مدينة نياني بقلب العاصمة المالية، في سنة 637للهجرة /1240 للميلاد، ودربه أبوه على الإمارة وعلى الحرب منذ نعومة أظافره، حيث تدرب في مختلف الحاميات العسكرية المندية سواء في مدينة نياني أوفي الصحراء الرملية والجبال، وكان أبوه يراقبه عن بعد إلى أن اشتد عوده. وقد عرف أبو بكاري الثاني بعدة أسماء منها باتا ماندي موري (Bata mande mori) أما الرواة الشفويون في كل من السنغال وغمبيا فيلقبونه بتابا بوكاري (Taaba boukari)،كما يلقب أيضا بـــ ديانكاوالي (Diankawali)، وهي كلها ألقاب بلهجات ولغات مختلفة ولكنها تعني شيئا واحدا وهو ( ذَهَبَ عن طريق البحر) **[[86]](#footnote-86)**.

ورغم أن هذا الملك لم يؤدي فريضة الحج التي كانت سبب شهرة ملوك مالي وسبب تعرف العالم الإسلامي عليهم، لكنه يُرْوَى عنه بأنه كان أول من اكتشف العالم الجديد (القارة الأمريكية) قبل كريستوف كولومبوس. حيث يذكر بأنه أرسل أول حملة استكشافية بحرية باتجاه المحيط الأطلسي تتضمن مائتي سفينة، فلم تعد منها إلا سفينة واحدة فقط، ثم ازداد إصراره على معرفة ما يخفيه هذا البحر، فجهز أسطولا ضخما يضم ألفي سفينة قاده هو بنفسه حيث كان من بين المبحرين وذلك سنة706هـ /1307م، لكن هذه المرة لم يعد أحد من المبحرين**[[87]](#footnote-87)** وهو ما دفع عدد كبير من المؤرخين إلى الاعتقاد بأن هذا الملك يكون قد وصل إلى سواحل البرازيل**[[88]](#footnote-88)**. ولقد اختفى هذا الملك في عرض المحيط ولم يعد بعدما حكم مالي لمدة أربع أو خمس سنوات**[[89]](#footnote-89)**.

وبالتالي أصبح عرش مالي يشكو من الشغور، و بما أن الملك أبا بكر الثاني لم يكن لديه إخوة فقد تم تنصيب ابنه موسى ملكا جديدا على إمبراطورية مالي، والذي شهدت على يديه الإمبراطورية أوج قوتها وازدهارها.

**ثانيا: مناقشة حقيقة اكتشافه للقارة الأمريكية:**

1. **ما ذكرته المصادر العربية حول الموضوع:**

يقول ابن الوردي**[[90]](#footnote-90)** عن المحيط الأطلسي الذي كان يدعى ببحر الظلمات:((ويسمى المظلم لكثرة أهواله وصعوبة متنه فلا يمكن أحد من خلق الله أن يلج فيه، إنما يمر بطول الساحل لأن أمواجه كالجبال الرواسي وظلامه كدر وريحه ذفر، ودوابه متسلطة، ولا يعلم ما خلفه إلا الله تعالى، ولا وقف منه بشر على تحقيق خبر)) **[[91]](#footnote-91)**. لكنه ربما لم يكن يعلم عندما كتب ذلك، بأن مؤرخا معاصرا له وهو ابن فضل الله العمري (المتوفى سنة 749هـ/1349م) ذكر بأن أحد ملوك السودان يكون قد اجتاح هذا المحيط سنة 707هـ /1307مولم يعد.

فقد ذكر العمري عن ابن أمير حاجب بأن الملك منسا موسى قد أسر له بأنه كان قبله ملك وهو أبو بكر الثاني، لم يكن يصدق أن البحر المحيط لا يمكن الوقوف على آخره، فأراد الوقوف على هذا الأمر وتحمس له، وجهز مائتا مركبة مملوءة بالرجال، وأخرى مثلها مملوءة بالذهب والماء وما يحتاجه المسافر من زاد ما يكفيهم لسنين، وقال للمسافرين فيه لا ترجعوا حتى تبلغوا نهاية هذا البحر، أو ينفذ زادكم وماؤكم، فساروا وطالت مدة غيابهم إلى أن عاد مركب واحد منها، فسأل كبيرهم عن أخبار رفقائه، فأخبره بأنهم لما ساروا زمنا طويلا في البحر ظهر لهم في وسط البحر واد ذا مجرى قوي، فاختفت في غمرتها كل المراكب ما عدا مركبته التي لم تدخل ذلك الوادي، ورجعوا من حيث أتوا.لكن هذا الملك لم يعجبه كلام ذلك الربان، فجهز ألفي مركبة، ألفا له ولمرافقيه وألفا للزاد والماء، ثم استخلف ابنه منسا موسى وركب البحر المحيط وسافر فيه ولم يعد**[[92]](#footnote-92)**.

ولم يكن العمري هو المصدر الوحيد الذي تكلم عن هذه القضية، حيث نجد رواية مشابهة لها في المصادر الشفوية السودانية، ومفادها أن الإمبراطور المالي أبو بكر الثاني قام بإرسال حوالي330 قارب باتجاه سواحل أمريكا، فرجع ربان واحد من هذه الحملة التي تكون قد اجتازت المحيط**[[93]](#footnote-93)**.وحسب الرواية الشفوية دائما فإن سكان القارة الأمريكية يكونوا قد رحبوا بالزعيم المالي وهنؤوه على انجازه، أما هو فقد بعث رسولا إلى مالي ليخبرهم بوصوله وتنصيب أخاه منسا موسى ملكا على مالي**[[94]](#footnote-94)**. وبهذا يحق لنا أننتساءل هل فعلا تمكنت عائلة كيتا من اكتشاف القارة الجديدة ثلاثة قرون قبل الرحالة الايطالي كريستوف كولومبوس؟

في الحقيقة نحن نجهل سبب انفراد العمري بسرد تلك الرواية، وعدم نقلها عنه من طرف المصادر العربية، فحتى ابن خلدون الذي يعد مصدرنا الكبير عن ملوك مالي منذ برمندانه، لم يكلف نفسه عناء نقل هذه المعلومة عن العمري رغم أنه توفي بعده بحوالي ستين سنة (توفي ابن خلدون سنة 808هـ/1406م)، وهذا ربما لعدم تصديقه لتلك الرواية،كما لم يصدقها معظم المؤرخين الغربيين الذين اعتبروا القصة مجرد حكاية هزلية**[[95]](#footnote-95)**، ومنهم من همّشها وأهملها عن قصد حتى لا تعاد كتابة التاريخ من جديد**[[96]](#footnote-96)**، لكننا في المقابل نرى بأن هناك عدة دلائل وقرائن تجعل رواية العمري تقوم على أسس تاريخية وعلمية معقولة.

فالرواية الشفوية تقول بأن أبا بكر الثاني اعتمد في حملته تلك على خبراء من العرب المسلمين، وأنه انطلق من خليج غامبيا واختفى في عرض السواحل البرازيلية نتيجة تمرد بعض الرواة الشفويين (المنشدون) الوثنيين الذين كانوا يرافقونه بسبب تنكرهم لدور العلماء العرب المسلمين في هذه الرحلة نظرا للصراع الخفي القائم آنذاك بين المسلمين والوثنيين داخل القصر الملكي وبين حاشيته**[[97]](#footnote-97)**.

وهنا يمكننا أن نعود إلى خبرة وتفوق العرب المسلمين في الملاحة البحرية خلال العصور الوسطى، والذين سبق لهم أن خاضوا تجارب مماثلة حسب المصادر العربية حتى قبل رحلة أبي بكر تلك. فيذكر الحميري**[[98]](#footnote-98)**بأن أحد أهالي الأندلس يدعى بالخشخاش، قام هو وجماعة من فتيان قرطبة وأحداثها بركوب مراكب واستعدوها ودخلوا البحر المحيط، وغابوا مدة ثم أتى بغنائم واسعة وأخبار مشهورة**[[99]](#footnote-99)**. كما يروي ابن الوردي بأن جماعة من أهل أشيونة (لشبونة) وهم ثمانية أنفس وكأنهم بنو عم، اشتروا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم لمدة طويلة، وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته، وقرروا ألا يرجعوا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا، فسافروا فيه لمدة أحد عشرة يوما حتى دخلوا إلى بحر عظيم وموجه كبير كثير القروش فأيقنوا بأن مصيرهم الهلاك فرجعوا مع البحر سالكين الجنوب لمدة أثني عشرة يوما فدخلوا إلى جزيرة فيها عدد لا يحصى من الغنم طعمها مر، وبها ماء عذب ولا يوجد بها بشر، فتركوها بعدما أخذوا جلود الأغنام معهم وساروا في البحر إثنتا عشرة يوما أخرى إلى جهة الجنوب حتى وصلوا إلى جزيرة فيها عمارة فقبض عليهم أهلها وهم رجال شقر الألوان طوال القد، وأخذوهم إلى ملكهم الذي كلمهم عن طريق ترجمان، ولما عرف سبب خوضهم للبحر المحيط ضحك منهم ساخرا وقال لهم : إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه من العجائب، فساروا مغربين لمدة شهر ثم رجعوا بدون فائدة**[[100]](#footnote-100)**.

والملاحظ على رواية ابن الوردي أن ملك الجزيرة الذي كلم الإخوة كان لديه مترجم يتقن العربية، وهو دليل آخر على أنهم لم يكونوا من وصل إلى ذلك المكان في المحيط الأطلسي.

ويذكر المؤرخ التونسي عثمان الكعاك بأن البربر ذهبوا إلى القارة الأمريكية في أول الأمر مع القرطاجيين، ثم مع مسلمي الأندلس الذين كانوا يترددون عليها، كما تمكنوا من وضع أقدامهم في العالم الجديد حتى قبل مجيء الفنيقيين أي خلال القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وأن هناك قبائل كاملة في أمريكا تحمل أسماء بربرية، حيث توجد قبيلة مطماطس مثلما توجد ببلاد المغرب قبيلة مطماطة، وتوجد قبيلة ماية التي تقابلها قبيلة لماية، وقد استقى هذا المؤرخ معلوماته من ضابط أمريكي كتب عن البربر**[[101]](#footnote-101)**. فهذه الشهادات كلها تبين بأنالمسلمين كانت لهم سوابق في ميدان الملاحة وخاصة فيما يخص المحيط الأطلسي الذي خبروه جيدا، فكان اعتماد أبي بكر الثاني عليهم في حملته قائم على سابق معرفته بهذا الموضوع، مثلما اعتمد كريستوف كولومبس على خبرة أحمد بن ماجد بعد ثلاث قرون لاكتشاف أمريكا.

1. **بعض الأدلة حول نجاح الرحلة:**

وهناك دلائل وشواهد مادية تجعل رواية العمري معقولة، منها اكتشاف ثلاث كتابات في الولايات المتحدة الأمريكية بعضها مكتوب بالحروف الإفريقية بلغة المندي وبعضها الآخر مكتوب بالعربية وبالخط الكوفي، وفي بحر الكاراييب أين ما يزال يعيش الهنود الحمر إلى غاية اليوم توجد قبائل مازالت تكتب بحروف مالنكية وهي لغة أهل مالي**[[102]](#footnote-102)**.

فخلال اكتشاف كريستوف كولومبس للقارة الأمريكية أخبره واحد من الهنود الحمر بأنه قد سبقه بمدة طويلة قوم ذووا بشرة سمراء قدموا من البحر، لكن كريستوف كولومبس تجاهل الأمر ولم يعره اهتماما كبيرا، إلا أنه وجدت في يومياته الخاصة باليوم الثالث بأنه وجد بالقارة الجديدة معدن يتمثل في خليط من الذهب والنحاس والفضة، وهو معدن كان التجار السودان يصدرونه إلى إسبانيا**[[103]](#footnote-103)**.كما وجد هذا الرحالة الجنوي بالقارة الجديدة آثارا وخاصة ثماثيل مماثلة لتلك التي كان يصتعها المندي**[[104]](#footnote-104)**، وفي عام 1966م، وخلال المهرجان العالمي للفنون السودانية في دكار بمساهمة ليوبولد سيدار سنغور(Leopold Sedar Senghor)**[[105]](#footnote-105)** عرضت بصفة علمية ورسمية تماثيل مصنوعة بالطين المشوي (الفخار) تعود إلى فترة ما قبل الكولومبية (Précolombienne)**[[106]](#footnote-106)** والتي تمثل كل الأصناف الفنية السودانية المعروفة في إفريقيا**[[107]](#footnote-107)**.

وهناك عدة كتابات غربية وأمريكية تقر هذه الحقيقة وتؤكدها مثلما جاء في كتاب ايمانويل ايريسكو إبيرا (Emanuel Erisko ebira) بعنوان التاريخ القديم لاحتلال المكسيك (Historia antigua de la conquesta de mexico) بأن أمريكا الوسطى كانت عموما و البرازيل خصوصا كانت عبارة عن مستعمرات لشعوب سوداء جاؤوا من إفريقيا.و هناك كاتب أمريكي يدعى ليون فرنيل، كان أستاذا بجامعة هارفارد الف كتابا سنة 1920م بعنوان إفريقيا واكتشاف أمريكا (Africa and the discovery of america) ذكر فيه بأن كريستوف كولومبس أشار إلى وجود هناك منديين في شمال ووسط القار الأمريكية حيث تزاوجوا مع قبيلتين من قبائل الهنود الحمر**[[108]](#footnote-108)**.

ويذكر الأستاذ إيفان فان سرتيما (Ivan van Sertima)**[[109]](#footnote-109)** مؤلف كتاب بعنوان: جاؤوا قبل كولومبس(They came befor Colombus) الذي يتكلم فيه عن أمريكا ما قبل الكولومبية، بأنه لا يريد أن يثبت بأن الأفارقة هم من اكتشفوا القارة الأمريكية، لكن كانت لهم اتصالات معها قبل الجميع، وهؤلاء الأفارقة يعتقد بأنهم مصريو بلاد النوبة. وحسب فان سرتيما دائما فإن هذه الهجرة الإفريقية كان لها دور كبير في صنع تلك التماثيل السوداء، ويضيف بأن الشعوب ذات الأصول الإفريقية في المكسيك، فنزويلا، البيرو،كولومبيا، والهندوراس، فقد بقوا يحتفظون بالشعور بأن أغلبية سود أمريكا من غير الميلانيزيين(Mélanisiens)**[[110]](#footnote-110)** كانوا موجودين في القارة الأمريكية قبل الأوربيين**[[111]](#footnote-111)**.

عموما فإن قضية اكتشاف للقارة الأمريكية من طرف أحد أفراد عائلة كيتا المالية، لم يعد من المواضيع الهزلية والمضحكة كما يريد بعض المؤرخين الغربيين أن يصوروه لنا في محاولة منهم لإخفاء الحقائق التاريخية التي تزعجهم، لأن هذه الحقائق كفيلة بجعل التاريخ الأمريكي كله يرتبط بالشعوب السوداء حسب ما يذهب إليه الانتروبولوجي السنغالي تيديان ندياي (Tidiane N’diaye)**[[112]](#footnote-112)**فلقد كتب الأستاذ النرويجي بورن روا ربي(Bjorn roar bye) مقالا بعنوان (أبو بكر الثاني اكتشف أمريكا قبل كريستوف كولومب) جاء فيه بأنه في سنة 1982م ذهب في حملتين إلى جزر مالديف مع المستكشف تور هيرداهيل (Thor Hayerdahl) وعند عودته إلى أوربا سأل هذا المستكشف هل سبق له وأن سمع بملك أسود يدعى أبا بكر الثاني فأجابه بالإيجاب، وهو ما شجعه على البحث أكثر عن هذا الرجل، فبحث في الانترنت، واتصل بالمؤرخين والأثريين والجغرافيين وغيرهم، وتبادل معهم الكتب والمعلومات، فتعجبت من ذلك الكم الهائل من الأبحاث التي قاموا بها لعدة سنوات حول هذا الموضوع ودون أن يخفوا عنه الحقائق، فاستنتج في الأخير بأن هناك من يريد تعمد إخفاء جزء من التاريخ لغاية لا يعلمها إلا الله**[[113]](#footnote-113)**.

**المحور الثالث**

**منسا موسى كيتا (كونكو موسى)**

**الملك الحاج**

**أولا: منسا موسى في المصادر العربية:**

**ثانيا: ظروف اعتلائه عرش مالي:**

**ثالثا: أسماؤه و ألقابه:**

**رابعا: رحلته الشهيرة إلى الحج:**

**خامسا: دوره في ازدهار وحضارة إمبراطورية مالي:**

**سادسا: وفاته:**

**المحور الثالث**

**منسا موسى كيتا (كونكو موسى)**

**الملك الحاج**

**أولا: منسا موسى في المصادر العربية:**

لم يشتهر أي ملك من ملوك مالي أو ملوك السودان مثل ما اشتهر هذا الملك، حيث تجاوزت شهرته قارة إفريقي ووصلت إلى آسيا وحتى أوربا، وإذا كانت الروايات الشفوية قد خلدت سوندياتا من خلال الأشعار والملاحم، فإنه يعود للمصادر العربية كل الفضل في تخليد هذا الملك، الذي ذكره ابن خلدون باسم منسا موسى(أي الملك موسى) ووصفه بالرجل الصالح والملك العظيم**[[114]](#footnote-114)**. وقال عنه ابن كثير: (( الملك الأشرف موسى بن أبي بكر، وهو شاب جميل الصورة، له مملكة متسعة مسيرة ثلاث سنين، ويذكر أن تحت يديهأربعة وعشرين ملكا، كل ملك تحت يده خلق وعساكر)). وقال عنه ابن فضل الله العمري بأنه ((أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادا، وأكثرهم عسكرا وأشدهم بأسا، وأعظمهم مالا وأحسنهم حالا، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء))[[115]](#footnote-115).

كما ذكره عبد الرحمان السعدي باسم كنكن موسى، وقال عنه بأنه رجل صالح عادل، لم يكن في ملوك مالي مثله في الصلاح والعدل. ويدعوه محمود كعت بـ"مالي كوي كنكن موسى" وتعني بلغة السنغاي إمبراطور مالي أو المندينغ، ويصفه أيضا بالملك الفاضل التقي والورع**[[116]](#footnote-116)**.

وذكره أبن حجر العسقلاني بموسى بن أبي بكر سالم التكروري، ووصفه بصاحب التكرور أي ملك التكرور. كما يعتبر عهده الممتد من 706إلى737هـ/1307 الى1337م،أزهي فترات الإمبراطورية.

**ثانيا: ظروف اعتلائه عرش مالي:**

لقد وصل منسا موسى إلى الحكم حسب بعض الروايات سنة 706هـ/1307م، بعدما غاب والده أبو بكر الثاني في البحر**،** بينما ترى روايات أخرى بأنه اعتلى عرش مالي سنة 702هـ /1303م. حيث يعتبرونها هي السنة التي أبحر فيها أبوه إلى المحيط الأطلسي. ويذهب الرحالة بارث إلى أنه حكم بين710 إلى 731هـ/1311 إلى 1331م، ويعطي الزوجان كورنفان تاريخا آخرا مختلفا عن سابقيهم،حيث يقولان بأن والده أبو بكاري الثاني خرج إلى البحر سنة 709هـ/1310م، أما ابنه موسى فلم يتولى أمور الحكم إلا في سنة 710هـ/1312م**[[117]](#footnote-117)**.

إلا أننا نعتقد بأنه اعتلى العرش قبل التأكد من اختفائه بالبحر، لأن أبا الفضل العمري لما أورد قصة منسا موسى التي رواها في مصر عندما سأله ابن أمير حاجب عن كيفية انتقال الحكم إليه، وذكر فيها بأن رئيس المركب الذي نجا من البحر وعاد ليخبرهم بمصير بقية المراكب المفقودة خاطب منسا موسى قائلا له: (( تعلم أيها السلطان أنَّا سرنا زمانا طويلا حتى عرض لنا في لجة البحر واد له جرية قوية وكنت آخر تلك المراكب، فأما تلك المراكب فإنها تقدمت فلما صارت في ذلك المكان ما عادت ولا بانت، ولا عرفنا ما جرى لها، وأما أنا فرجعت من مكاني ولم أدخل ذلك الوادي))**[[118]](#footnote-118)**.

نلاحظ إذن بأن رئيس المركب خاطب منسا موسى بكلمة (أيها السلطان)، مما يعني أنه في ذلك الوقت كان ملكا على مالي، فقد يكون أبوه قد ولاه الملك خلفا له قبل أن يشد رحاله إلى تلك المغامرة البحرية. وعموما فإن عدم ذكر ابن خلدون تاريخ اعتلاء هذا الملك الحكم، جعل عملية الفصل بين التواريخ المقدمة من طرف المؤرخين المحدثين، والتدقيق فيها صعبة.

**ثالثا: أسماؤه و ألقابه:**

ولقد عُرف هذا الملك أيضا باسم موسى الأسود لسواد بشرته**[[119]](#footnote-119)**.كما اختلف المؤرخون حول تسميته باسم كنكن موسى أو كونكو موسى، فهناك من يقول بأن ذلك نسبة لأمه التي كانت تسمى نانا كنكن، فأصبح يدعى كونكو موسى أي ابن كونكو. وهناك من يقول بأن سبب هذه التسمية يعود إلى مكان ولادته، حيث وضعته أمه في منطقة تسمى كنكان فأصبح يدعى موسى منطقة كنكان. كما اشتهر هذا الملك أيضا باسم الملك الحاج، ويعود ذلك لرحلته الشهيرة إلى الحج والتي تكلمت عنها المصادر العربية والسودانية بكثير من الانبهار، وأضفت عليها صبغة أسطورية، فقد قام بهذه الرحلة سنة 724هـ/1324م.

**رابعا: رحلته الشهيرة إلى الحج:**

يروي لنا المؤرخ السوداني محمود كعت قصة طريفة حول سبب قيام منسا موسى بهذه الحجة وإعطائها ذلك الاهتمام البالغ، حيث نقلها لنا عن أحد السوننكي النبلاء المدعو الطالب محمد كوما، ومفادها أن منسا موسى قتل أمه نانا كنكن عن طريق الخطأ، فسبب له هذا الحدث ألما وحزنا كبيرين، فقرر أن يكفر عن ذنبه عن طريق التصدق بكميات كبيرة من المال على الفقراء وصوم بقية حياته، ولما سأل أحد العلماء عن الطريقة التي تمكنه من التكفير عن خطأه، فنصحه بالتوجه إلى الله وأن يطلب منه المغفرة، وهنا قرر منسا موسى تجهيز موكب ضخم من أجل الذهاب إلى البقاع المقدسة للحج، وطلب المغفرة من الله. وقد اخبره أحد فقهائه بأنه يجب أن يشد الرحال إلى مكة المكرمة في يوم السبت الذي يصادف اليوم الثاني عشر من الشهر القمري،فحمل معه خمسمائة عبد، وبيد كل واحد منهم العصي من الذهب، وفي كل منها خمسمائة مثقال من الذهب، أي حوالي 1757،7غرام من الذهب. كما رافقه في هذه الرحلة ثمانية ألاف رجل، كما أخذ معه زوجته المدعوة إناري كونتي (Inari konté) مرفوقة بخمسمائة خادمة وامرأة لتقمن بشؤونها**[[120]](#footnote-120)**.

وفي طريق رحلته من بلاد السودان إلى مصر،كان موسى كاكان كلما صادف دخوله إلى أي مدينة يوم جمعة إلا وبنا بها مسجدا في ذلك اليوم، إذ تعد مساجد كل من مدينة كوندام (Goundam) ودوكوري (Doukourei)، وديري(Dirie) وكونكو(Kounko)، وباكو (Bakou)، من المساجد التي بناها في طريقه إلى الحج.( وقد أدخل معه إلى مصر ثمانين حملا من الذهب التبر،كل حمل سعته ثلاثة قناطير. كما صرف في مكة على سبيل الصدقة عشرين ألف قطعة ذهبية.

لقد أثر الذهب الذي أنفقه منسا موسى على سعر الذهب في مدينة القاهرة، حيث يذكر العمري بأن الذهب كان مرتفع السعر بمصر، حيث كان المثقال لا ينزل عن خمسة وعشرين درهما، ويزيد عليها، ومنذ أن جاء منسا موسى في تلك السنة إلى مصر، نزلت قيمته ورخص سعره سنوات، إذ لم يعد يتعدى سعر المثقال الواحد منه ثنين و عشرين درهما وما دونها واستمر ذلك لمدة تقارب اثنتي عشرة سنة، وذلك لكثرة ما جلبوه من ذهب إلى القاهرة، وأنفقوه بها. ويُذكر بأنه خرج من بلده بمائة وسق جمل(أي حمولة جمل) من الذهب أنفقها في حجته على القبائل بطريقه من بلاده إلى مصر، ثم من مصر إلى الحجاز الشريف، إلى درجة لجوئه إلى الاقتراض عند عودته إلى بلده، خاصة بعدما تأخر بمكة بعد انقضاء موسم الحج بأيام، فاستدان هو وأُمرائهم أحد تجار الإسكندرية يدعى سراج الدين، وذلك مقابل مكاسب كثيرة تقدر بثلاث مائة دينار مقابل سبع مائة دينار ربحا، ثم بعثها إليهم بعد رجوعه إلى بلاده**[[121]](#footnote-121)**.

لم يكن منسا موسى عند الشعب المالنكي مجرد ملك يحكم البلاد والعباد فقط، وإنما كان وليا من أولياء الله الصالحين،وهي مكانة دينية رفيعة بلغها نتيجة ما عرف عنه من تقوى وحسن عبادة، وتصدقه وحرصه على تطبيق تعاليم الإسلام. حيث يشهد لها بن أمير حاجب وهو والي مصر لما حل في بها،بأنه كان على نمط واحد في العبادة والتوجه إلى الله عز وجل كأنه بين يديه لكثرة حضوره، ومحافظ على الصلاة والقراءة والذكر مع حسن الزي في الملبس والسكينة والوقار، وكان كريما جوّادا كثير الصدقة والبر**[[122]](#footnote-122)**. وعندما استقبله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في قصره بعد إلحاح شديد من المهمنداررفض أن ينحني أمامه، وقال للترجمان:((أنا مالكي ولا أسجد لغير الله.)).

ولقد بلغت إمبراطورية مالي في عهده أوج اتساعها وقوتها وازدهارها، حيث كانت تمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى غاية حدود نيجيريا الحالية، ومن الجنوب فقد كانت تحدها الغابات الاستوائية، أما من الشمال فتحدها المراكز التجارية للصحراء الكبرى، فتح منها بسيفه وجنده أربعا وعشرين مدينة ذوات أعمال وقرى وضياع.كما قام باحتواء الخرائب التي كانت من أراضي مملكة غانة في باغينا Baghena، والأراضي المعمورة الممتدة إلى غاية أدرار الموريتانية شمالا، بالإضافة إلى بلاد التكرور الغربية. كما تميزت فترة حكمه بالرخاء الاقتصادي، حيث كانت مالي تنتج الحبوب بكميات كبيرة، وازدهرت زراعة القطن، وسيطرت على مناجم الذهب في بامبوك وبوري، واستفادت من حديد السنغال الأعلى، ونحاس منطقة ديارا**[[123]](#footnote-123)**.

**خامسا: دوره في ازدهار وحضارة إمبراطورية مالي:**

لقد بلغت إمبراطورية مالي في عهده أوج اتساعها وقوتها وازدهارها، حيث كانت تمتد من سواحل المحيط الأطلسي غربا إلى غاية حدود نيجيريا الحالية، ومن الجنوب فقد كانت تحدها الغابات الاستوائية، أما من الشمال فتحدها المراكز التجارية للصحراء الكبرى**[[124]](#footnote-124)**، فتح منها بسيفه وجنده أربعا وعشرين مدينة ذوات أعمال وقرى وضياع**[[125]](#footnote-125)**.كما قام باحتواء الخرائب التي كانت من أراضي مملكة غانة في باغينا Baghena، والأراضي المعمورة الممتدة إلى غاية أدرار الموريتانية شمالا، بالإضافة إلى بلاد التكرور الغربية. كما تميزت فترة حكمه بالرخاء الاقتصادي، حيث كانت مالي تنتج الحبوب بكميات كبيرة، وازدهرت زراعة القطن، وسيطرت على مناجم الذهب في بامبوك وبوري، واستفادت من حديد السنغال الأعلى، ونحاس منطقة ديارا**[[126]](#footnote-126)**.

وقد عرفت مالي في عهده علاقات دبلوماسية وتجارية مع فاس بالمغرب الأقصى في عهد السلطان المريني أبي الحسن، حيث كانت له معه مواصلة ومهاداة، وتبادل الوفود بين الدولتين**[[127]](#footnote-127)**.فلقد ذاعت شهرة منسا موسى في العالم الإسلامي، وقام الرسامون برسم صورته وهو يرتدي عباءة الملك الفخمة وعلى رأسه تاج من الذهب الخالص المرصع بالجواهر والأحجار الكريمة، يمسك بإحدى يديه كرة ضخمة من الذهب وفي يده الأخرى صولجان الملك من الذهب الخالص**[[128]](#footnote-128)**. كما أنه في سنة731هـ/1339 وجد اسم مالي مكتوبا على خرائط العالم التي وضعها الجغرافي الايطالي "أونجيلو دولسرت"، كما وجد في الأطلس الجغرافي الذي وضعه "أبراهام كريسك" لشارل الخامس ملك فرنسا، وفيه اسم مالي بوضوح**[[129]](#footnote-129)**.

**سادسا: وفاته:**

وقد توفي هذا الملك بعد خمس وعشرين سنة لحكم، أي في سنة 733 للهجرة /1332 ميلادية**[[130]](#footnote-130)**تاركا وراءه إمبراطورية واسعة وقوية، تتمتع بسمعة وهيبة تجاوزتا حدود السودان الغربي، فلقد كانت إمبراطورية مالي عند وفاته تمتد من بلاد التكرور غربا إلى غاو وإلى ما ورائها شرقا، وتضم معها جزء كبير من الصحراء، أما جنوبا فقد بلغت حدود الإمبراطورية عمق الغابات الاستوائية**[[131]](#footnote-131)،** لكن بمجرد خلافته من طرف ابنه منسا مغا حتى دخلت البلاد في فوضى عارم، وبدأت عوامل الضعف تحل في أرجاء الإمبراطورية على أيدي خلفائه الذين جاؤوا من بعده.

**المحور الرابع**

**أسكيا محمد توري (ملك سنغاي)**

**أولا. نسبه و مولده و صفاته:**

**ثانيا . ظروف توليه عرش سنغاي:**

**ثالثا.رحلته الشهيرة إلى الحج:**

**رابعا. أهم إصلاحاته:**

**1.الإصلاحات العسكرية:**

**2. فتوحاته العسكرية:**

**3. تنظيماته:**

**أ.التنظيمات السياسية:**

**\* إنشاء منصب نائب الملك:**

**\* تنظيم الأقاليم:**

**\*إنشاء مؤسسات ووظائف الدولة:**

**ب. إصلاحه للعدالة و القضاء:**

**خامسا.النهاية المأساوية للأسقيا الحاج محمد توري:**

**المحور الرابع**

**أسكيا محمد توري(ملك سنغاي)**

**أولا. نسبه و مولده و صفاته:**

ذكره القاضي محمود كعت باسمه الكامل وهو الأسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التوردي أصلا الكوركري دارا ومسكنا، والده كان يلقب بأرلوم وهو ينتمي إلى عشيرة سيلا، أي انه من طائفة التوري او التورودبي، أما والدته فتسمى كوساي، و هي ابنة كورا ـ كوي ، أي حاكم منطقة كوي وهي جزيرة كبيرة يحيط بها النيل وهي بالقرب من تنبكتو. وهناك من يحاول أن يوصل نسبه من أمه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري، يلقبه السعدي بالأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر. وعموما فهو ينحدر من أسرة سودانية سوننكية على عكس الأسرتين السابقتين الحاكمتين لمملكة سنغاي وهي عائلة ذا و عائلة سني التي تعدان أسرتان بربريتان من بربر لمطة الصنهاجية.

ويلقب بالأسقيا الحاج محمد توري لأنه كان مؤسس عائلة الأسقيين التي حكمت مملكة سنغاي بعد عائلة سني، حيث يذكر السعدي بان محمد التوري كان قائدا جيوش الملك السابق من عائلة سني وهو أبو بكر داعو، وكان من رجاله المخلصين، فلما انقلب عليه وبلغ الخبر مسامع بنات سني علي خرجن يرددن كلمة اسكيا، اسكيا ومعناها في لغتهم لا يكون إياه أي لا يمكن أن يفعلها هذا الرجل، فلما سمعه محمد توري أمر أن لا يلقب إلا به**[[132]](#footnote-132)**، فسموه منذ ذلك الحين اسكيا محمد، ثم توارث اللقب أبناؤه من بعده حيث أصبح لقبا للعائلة الحاكمة كلها. كما يلقبه عبد الرحمان السعدي أيضا السيلانكي والتي تعني انتمائه إلى عائلة سيلا وهي عائلة تنتسب إلى القائد المرابطي أبي بكر بن عمر من خلال زوجته فاتيماتو(فاطمة) سيلا.

أما بخصوص تاريخ مولده فان المصادر المكتوبة لم تشر إلى ذلك، وتكتف فقط بذكر تاريخ توليه عرش سنغاي، وتاريخ وفاته أيضا، لكن بعض الدراسات ترجح انه ولد سنة 1443م بفوتا تورو بالسنغال.

ولقد وصفت المصادر التاريخية السودانية أخلاقه الرفيعة و مناقبه الفاضلة، حيث يقول عنه محمود كعت: « ... وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطيف بالمساكين ما لا يحصى ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده وحب العلماء والصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفرض والنوافل، وكان من عقلاء الناس ودهاتهم، والتواضع للعلماء وبذل النفوس والأموال لهم مع القيام بمصالح المسلمين و أعانهم على طاعة الله و عبادته»[[133]](#footnote-133).

كما وصف عبد الرحمان السعدي مناقبه بقوله: « واجتهد بإقامة ملة الإسلام و إصلاح أمور الأنام و صاحب العلماء و استفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل و العقد و ميز الخلق»[[134]](#footnote-134).

**ثانيا : ظروف توليه عرش سنغاي:**

نحن ممتنون كثيرا للمصادر السودانية التي تحدثت بشكل مفصل عن الظروف التي أوصلت الأسقيا محمد توري إلى الحكم**،** فالسعدي يذكر بأنه في سنة 898ه/1492م توفي السلطان سني علي لما كان عائدا من غزوة ضد الغورمنشي في بلاد الموشي، فغمره سيل جارف من المياه في الطريق في نهر يسمى كوني)**[[135]](#footnote-135)**( فمات غرقا و ذلك يوم 15 محرم سنة 898ه الموافق ل 6 نوفمبر 1492م. فخلفه ابنه أبو بكر داعو على عرش سنغاي، و كان محمد توري من كبار قادة جيش والده آنذاك، فقرر أن ينقلب على السلطان الشاب، وبدأ بتحضير الحيل التي التي تحقق له هدفه، و لما فرغ من ذلك توجه إليه مع من انظم إليه من جنوده و خاصته فهجم على السلطان في ليلة من جمادي الأولى من سنة 898ه/18فبراير1493م، فهزمه و هرب أبو بكر داعو إلى أن وصل إلى قرية تسمى انكو قرب جاو فتبعه وجرت بينهما معركة أخرى أدت إلى هزيمته ووفاته، وبذلك اعتلى محمد توري عرش سنغاي مؤسسا عائلة حاكمة جديدة تسمى عائلة الاسقيين.

ويعود سبب انقلاب محمد توري على أبي بكر داعو هو رفض هذا الأخير الإصلاحات التي طلبها منه محمد توري بخصوص تطبيق الدين الإسلامي الصحيح، إلَّا أن الملك الجديد أصر على إتباع طريق أبيه ورفض اتباع الإسلام الصحيح، حيث كان محمد توري و مجموعة من القادة العسكريين في جيش سني علي ناقمين على تصرفات هذا الأخير خصوصا بسبب بعده عن الدين الصحيح و تقتيله للعلماء و الصالحين، وإتباعه للتقاليد الوثنية وممارسته للظلم والفسق، فكوّن هؤلاء القادة فريقا إسلاميا يسعى لإصلاح الدين في سنغاي و متأثرين بعلماء تنبكتو، ويتشكل هذا الحزب من محمد بن أبي بكر الذي كان له لقب بتنديو فارما والتي تعني قائد الجبال، وأخيه عمر كمزاغ (كومدياغو) والملقب أيضا بكورمينا فاري)**[[136]](#footnote-136)**(.

وتقول المصادر بان سني علي لما وافته المنية كان برفقته ابنه أبو بكر داعو الملقب بسني بارو، و في طريق عودته و لما وصل إلى منطقة تسمى بنكي تم توليته في الثاني ملكا خلفا لأبيه، وبعد مرور أربعة أشهر على ولايته ظهرت له حركة معارضة يقودها الاسقيا محمد بن أبي بكر التوري، حيث التقى الطرفان في مدينة انفع، ودار بينهما قتال عظيم، فكان النصر حليف الاسقيا محمد وهرب سني بارو. لكن الاسقيا محمد توري لم يعلن هذه الحرب على شي بارو إلا بعدما أرسل له العالم والولي الصالح محمد تل الشريف يدعو إلى الإسلام ، لكنه أبى وامتنع، بل وأغلظ الكلام لذلك العالم و همَّ بقتله، ثم عاد هذا العالم إلى الاسقيا محمد يخبره بما حدث بينه وبين شي بارو، فأعاد الاسقيا محمد الكرة وأرسل مرة أخرى العالم الصالح الونكري الأصل الشيخ ألفا صالح ديور إلى شي بارو وابلغه رسالة الاسقيا محمد لكنه تمادى في عناده و امتناعه وتجبره، و طلب احد وزرائه أن تقطع عنق هذا العالم لكنه لم يفعل، وأبلغه رسالة شي بارو إلى الاسقيا محمد بان جوابه له هو القتال، لكن رغم ذلك فقد جمع الاسقيا محمد العلماء والفقهاء وأكابر الناس وقادة الجيش لمشورتهم حيث اتفقوا أن يرسلوا له رسولا ثالثا عله يلين قلبه و يهتدي إلى الإسلام الصحيح، حيث أرسل إليه هذه المرة القاضي محمود كعت الذي حمل إليه رسالة الاسقيا محمد، لكنه أبى وامتنع بل انه أمر بضرب طبول الحرب، فعاد محمود كعت وأخبر الاسقيا، كما هرب احد وزرا سني علي وهو بركي منسا موسى وأبنائه العشرة إلى جيش الاسقيا وقدموا له البيعة، كما قدم له البيعة بقية أتباعه ، فاندلعت الحرب بينهما حيث انهزم جيش سني باروا شر هزيمة، وتوفي في هذه الحرب سني بارو واعتلى بذلك الاسقيا محمد عرش سنغاي واضعا بذلك حدا ونهاية لحكم عائلة سني الظالمة ومؤسسا لعهد عائلة الاسقيين**[[137]](#footnote-137)**.

**ثالثا: رحلته الشهيرة إلى الحج:**

يبدو أن تولي الاسقيا محمد توري العرش عن طريق الانقلاب العسكري كان يفقده نوعا منى الشرعية، كونه انقلب على أسرة بربرية عريقة بنت شرعيتها في الحكم على أساس ديني وتاريخي يعود إلى القرون الميلادية الأولى استنادا إلى قصة جدهم الأول الذي زعموا انه جاء من اليمن، ورغم أن الاسقيا محمد قد تلقى دعم الفقهاء و كبار القوم وقادة الجيش، وأخذ مبايعتهم، لكن يبدو انه كان يبحث عن عمل يخلصه من كل تلك الشكوك ويثبت قدم مله راسخا في مملكة سنغاي له ولأسرته وأبنائه من بعده.

لقد كان محمد توري رجلا أميا لكنه مفعم بالإيمان وأكثر من ذلك رجل سياسي محنك وصاحب بعد نظرا، لذلك فانه قرأ في سيرة الأولين من عظماء الملوك في غرب إفريقيا فوجد في قصة رحلة الحج الشهيرة للملك منسا موسى ملهما له في تجاوز تخطى عقبة الشرعية الدينية لملكه، فقرر أن يقوم برحلة حج عظيمة تدخله التاريخ ، ونكسبه شرعية تاريخية لا تنازعها عليه أي قوة.

فلقد كانت رحلته إلى الأراضي الحجازية في موسم(1496 ـــ 1497م، )، أي سافر في سنة 902 هجرية وذلك في شهر صفر، واصطحب معه جماعة من أعيان كل قبيلة، ويروي لنا محمود كعت حدوث بعض الكرامات أثناء هذه الرحلة، بسبب وجود بعض الأولياء الصالحين الذين رافقوهم ومنهم الشيخ مور صالح جور الوعكري، الذي أنقذتهم بركته من الموت عطشا**[[138]](#footnote-138)**.

كما اصطحب معه 1500 رجل منهم خمسمائة فارس و ألف مترجل، و كان معهم ابنه اسكيا موسى، كما حمل معه في هذه الرحلة ثلاثمائة ألف قطعة ذهبية و هو من الغنائم التي غنمها من سني علي، و لما وصل إلى مكة تصدق منها بمائة ألف قطعة ذهبية في الحرمين، كما اشترى منهم جنانا في المدينة المنورة و حبسها على أهل التكرور، وانفق مائة ألف أخرى، و اشترى السلع و جميع ما يحتاجه إليه بمائة ألف أخرى، و التقى في مكة بالشريف العباسي.

**رابعا. أهم إصلاحاته:**

وصل محمد توري إلى الحكم و عمره عشرون سنة، وحكم لمدة خمسة و ثلاثون سنة، قضاها في توسيع رقعة الدولة و تقويتها وإعادة بناء صرح الدولة على أسس الشريعة الإسلامية.إسلامية، و تنظيم مؤسساتها، بمجرد عودته إلى بلده، و هو يمتلك الشرعية الدينية لحكمه، تلقب الاسقيا الحاج محمد توري بلقب الخليفة، ثم أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية داخل إمبراطوريته، و التي على أساسها ترتبت مجموعة من الإصلاحات من اجل تنظيم الدولة**[[139]](#footnote-139)**.

**1.الإصلاحات العسكرية:**

قام بتكوين جيش نظامي بعدما كان في عهد سني علي مفروضا على جميع السكان خلال التعبئة العامة للحرب، لهذا فقد عمل الأسقيا على تشكيل جيش محترف[[140]](#footnote-140)، أي جعل هناك نجيش نظامي منفصل عن المدنيين، ولكنه فتح الباب مفتوحا للتطوع في هذا الجيش لدى كل سكان المملكة ومن كل طبقاتها الاجتماعية، لا فرق بين السنغائي وغيرهم، ولا بين العبيد و الأحرار**[[141]](#footnote-141)**.

لقد رغب الحاج محمد توري من وراء هذا القرار تقوية جيشه و زيادة عدده من اجل المهمات العسكرية التي كانت تراود مشروعه التوسعي، لكن هذا القرار واجهته معارضة شرسة من طرق نبلاء سنغاي وأتباع النظام السابق، الذين رفضوا تحرير العبيد وإشراكهم في الجيش، وبعدما فشل في إقناعهم دخل معهم في حرب جرت وقائعها في منطقة بوكو قُتل فيها الكثير من المعارضين السنغائيين، وانتهت بانتصار الاسقيا محمد.

**2. فتوحاته العسكرية:**

بعد إصلاح الجيش تفرغ لتوسيع مملكته فأخضع مسينا وديارا بلاد الموشي**[[142]](#footnote-142)** بعدما رفضوا الدخول في الإسلام، وغزا أغاديس وبلاد الآير في الصحراء. أما جني فخضعت له طواعية بدون حرب، وفي سنة 1522 م غزا بلاد التكرور واستولى على منجم غالام الذهبي**[[143]](#footnote-143)**، وفي سنة 5159 م توجه نحو بلاد الهوسا وغزا مملكة كتسينا تحالف مع ملك كبي الذي كان قويا، كما حارب قادة مالي انتصر عليهم في الغرب.

وفي السنة الرابعة من حكمه غزا بلاد الموشي الوثنيين في نهر الفولتا، حيث اخذ معه إلى هذه الغزوة الشيخ السيد المبارك مور صالح، حيث جعله رسولا بينه و بين سلطان موشي، حيث بلغه رسالته التي يدعو فيها ملك الموشي إلى الدخول في الإسلام، لكن هذا الأخير رفض بعدما شاور الأموات والكهنة، حسب معتقداتهم. لذلك قام الاسقيا محمد بإعلان الجهاد عليهم، وخرب أرضهم وديارهم، وسبا ابناهم، وكانت أول غزوة إسلامية في بلاد الموشي في التاريخ. أما أهل جني فقد دخلوا في طاعته بدون قتال**[[144]](#footnote-144)**.

في سنة 1499م أرسل جيشا باتجاه مملكة مالي فغزا ولاية الأمير عثمان والي منطقة باندوغو بحجة انه يخالف الإسلام في حكمه وضم هذه المقاطعة إلى حكمه**[[145]](#footnote-145)**. وفي العام الموالي توجه بجيش صغير نحو الجنوب الشرقي إلى منطقة ايورو أين كان يتواجد أتباع الملك السابق المخلوع سني بارو المعارضين، والذين يلقبون بزبارما (نسبة لقبيلة زبارما)، فأعاد ضما إلى حظيرة سلطة سنغاي بعدما كانت قد أعلنت انفصالها عن مملكة سنغاي بعدما تولى الحكم الأسقيا محمد واعتصم بها أنصار الملك المخلوع**[[146]](#footnote-146)**.

وبين سنتي 1506 و1513م، بذل جيش سنغاي كل جهوده من اجل استكمال ضم ما تبقى من مملكة مالي وضمها نهائيا إلى حكمه، فوصلت حدوده غربا إلى المحيط الأطلسي، بعدها توجه شرقا نحو بلاد الهوسا و ضم عددا من مدنها الهامة، كما توغل سنة 1515م في بلاد الآير في بلاد الطوارق، وفرض على أميرها جزية سنوية تقدر بـــــ 1500 أوقية ذهبية**[[147]](#footnote-147)**.

**3. تنظيماته:**

لقد كان الاسقيا محمد توري رجلا تقيا مؤمنا متدينا مقربا من الفقهاء و علماء تنبكتو، لهذا كان يؤمن بمشروعهم الإصلاحي الذي أجهضه السلطان سني بر علي، وابنه سني أبي بكر داعو ( أو سني بارو) اللذان كاناشديدي البطش بالمسلمين وخاصة العلماء، لهذا فبعد انتصاره على سني بارو دخل الأسقيا محمد العاصمة جاو دخول البطل المنتصر الذي كان ينظر إليه شعب سنغاي المسلم بمثابة الزعيم الوطني المنقذ لهم من الفوضى و ظلم عائلة لآل سني، لهذا فقد كان أول شيء قام به هو تزويد الدولة بالعديد من المؤسسات، و إدخال تنظيمات وإصلاحات عميقة على الدولة.

**أ.التنظيمات السياسية:**

**\* إنشاء منصب نائب الملك:**

أول شيء لاحظه الملك الجديد لسنغاي هو أن مساحة البلد شاسعة جدا، وأن هناك انعدام التوازن في التوزيع الديمغرافي للمملكة، حيث أن موقع العاصمة في الشرق وتنعم بكل الإمكانيات والمؤسسات فيها جعل الغرب الواسع الآهل بالسكان يعاني من الإهمال و البعد عن أعين الحكومة في جاو، فقرر الاسقيا محمد إنشاء نيابة الملك يكون مقرها في وسط المملكة في تندرم، و أسند إدارتها إلى أحد إخوته المخلصين و الأكفاء في شؤون الحكم و هو عمر كمزاغ**[[148]](#footnote-148)**.

* **تنظيم الأقاليم:**

بعدما ضم عدد كبير من القبائل إلى سلطته،و التي بلغت حسب محمود كعت أربعة و عشرين قبيلة**[[149]](#footnote-149)**، وبسبب اتساع رقعة الدولة و صعوبة مراقبة كل المقاطعات بطريقة الحكم المركزي، قرر الحاج محمد توري تقسيم البلد إلى مقاطعات على شكل ولايات، وجعل على رأس كل مقاطعة حاكم يكون من رؤساء القبائل التقليديين لكل منطقة بعدما يأخذ منهم أبناءهم كرهائن حتى لا يفكروا في التمرد عن السلطة المركزية، وهذه الولايات هي: ولاية كورما، ولاية بالاما، ولاية دندي، ولاية بانجو، ولاية هاريباندا، ولقد كان كل مسؤول عن كل قبيلة يلقب بكوي. بالإضافة إلى هذه الولايات عين واليا على نهر النيجر أو رئيس النهر ويشرف عليها قائد الأسطول و يلقب بـــ"هو كوي"**[[150]](#footnote-150)**.

* **إنشاء مؤسسات ووظائف الدولة:**

بعدما نظم الأقاليم وعين عليها وُلَّاة التفت الأسقيا محمد إلى تنظيم شؤون الدولة بإنشاء مؤسسات مستقرة، وهي:

ــــ مفتش الضرائب: وكان يلقب صاحب الوظيفة بموندي، وكان لديه أعوان في كل أسواق البلاد، وعلى حدود المملكة، حيث كانوا يستخلصون الضرائب من القوافل الداخلة إلى المملكة أو الخارجة منها.

ـــــ المشرف على شؤون القبيلة: ويدعى صاحب هذه الوظيفة كوري فاريما. وهنا يكون كل مشرف على قبيلة ملما بتقاليد وخصوصيات القبيلة التي يشرف عليها، ودوره الحرص على النظام و التآلف والعدل بين الجميع.

ــــ المشرف على الغابات: ويدعى صاحب هذه الوظيفة سا فاريما، وهي كلمة سنغائية مستمدة من كلمتين هما ساو: وتعني الغابة وفاريما: وتعني الرئيس، وكانت وظيفته الإشراف على عملية قطع الأشجار من أجل بناء سفن الأسطول ومراقبتها ومراقبة نشاط الصيادين والحرص على حماية الغابات من **الحرائق[[151]](#footnote-151).**

ومن بين الوظائف التي استحدثها محمد توري في المدن الكبرى منصب يمثل السلطان في تلك المدن، ويعمل على حل مشاكل السكان ويراقب السوق، ولكن هذه الوظيفة خصصت لبعض المدن الهامة والكبيرة مثل تنبكتو، ديرما ، وجني**[[152]](#footnote-152)**.

**ب. إصلاحه للعدالة و القضاء:**

في ميدان القضاء نظم العدالة ونصب القضاة في كل المدن الإسلامية، وجعل القاضي يحكم بالشريعة الإسلامية***،* لهذا كان القضاة يتكونون من الفقهاء والعلماء، ومنهم المؤرخ الشهير محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش، وطلب من القضاة سرعة البت في القضايا، كما كلف الشرطة بالانتشار في الأسواق لمحاربة الغش والسرقة والاعتداءات، ومراقبة أدوات القياس والمكاييل والموازين، ونظام الحسبة الذي يكون قد استمده من النظم الإسلامية السائدة في المغرب آنذاك[[153]](#footnote-153).**

**خامسا.النهاية المأساوية للأسقيا الحاج محمد توري:**

لما بلغ الأسقيا محمد توري العمر الخامسة والسبعين سنة أي سنة 1518م بلغ به الكبر مبلغا لم يعد قادرا على المزيد من الفتوحات خاصة وأن معاونيه الذي شقوا معه هذا الطريق بلغ منهم الكبر ما بلغ أيضا، وفي نفس الوقت بلغ أولاده أشدهم و أصبحوا يطمحون في الحكم، لهذا فلما توفي احوه عمر كمزاغ الذي كان يشغل منصب نائب الملك وعين أخاه الصغير يحي أثار هذا التعيين حفيظة ابنه موسى الذي كان أشد لطامعين في خلافة والده على العرش من بعده. خاصة بعد أن أصيب الأسقيا محمد بالعمى، و في سنة 1527م بدا بممارسة تهديدات بالموت على مستشار والده المقرب وهو علي فلن[[154]](#footnote-154) عن طريق مليشياته التي تسمى سيديا، وهو ما أجبره على مغادرة القصر الملكي في جاو حتى ينفرد بوالده**[[155]](#footnote-155)**.

ولما خلا الأمر للأسقيا موسى بغياب علي فلن وأخيه يحي استغل الوضع ودخل القصر سنة 1528م، مستعملا القوة برفقة بعض أنصاره ومليشيته السيديا، وأجبر والده الحاج محمد الكبير بالتنازل له عن العرش، فلجا الأسقيا المخلوع إلى مدينة كوكيا من أجل إنشاء حكومة موازية عن سنغاي هناك وذلك بالاستعانة بابنه يحي، لكن الملك الجديد الأسقيا موسى كان مدعما من طرف إخوته داود و إسماعيل و ابن أخيه عمر دياكو و هو محمد مار الملقب بمحمد بنكن(أي محمد الأبيض)، لهذا فشلت محاولته في إنشاء هذه الحكومة. و وُضع الأسقيا محمد توري في الإقامة الجبرية بالعاصمة جاو**[[156]](#footnote-156)**.

وعندما اعتلى الأسقيا بنكن كوري(1531-1536م) عرش سنغاي بعد مقتل الأسقيا موسى قام بإخراج عمه الأسقيا محمد توري من جاو ونفاه إلى جزيرة كنكاغا، وبقي هناك إلى غاية تولي ابنه الأسقيا إسماعيل(1537-1539م) الذي أخرجه من هذه الجزيرة وأعاده إلى جاو التي بقي فيها إلى أن توفي في 2 مارس 1538م**[[157]](#footnote-157)**.

**المحور الخامس**

**الماي إدريس ألوما ملك كانم بورنو**

**(1580-1617)**

**أولا. نسبه وظروف توليته العرش:**

**ثانيا: دوره في نشر الإسلام:**

**ثالثا. إنجازاته العسكرية:**

**رابعا. دوره الدبلوماسي:**

**خامسا. اصطلاحاته القضائية و القانونية:**

**سادسا. انجازاته العمرانية:**

**سابعا. تنظيماته الاقتصادية:**

**ثامنا. وفاته:**

**تاسعا**.**مصير مملكة كانم بورنو بعد وفاة إدريس ألوما:**

**المحور الخامس**

**الماي إدريس ألوما ملك كانم بورنو**

**(1580-1617)**

هو الماي إدريس الوما ملك إمبراطورية كانم-بورنو ، التي ظهرت شرقي بحيرة تشاد، رجل دولة بارز ، عرفت مملكة كانم بورنو تحت حكمه (1564-159 ) قمة المجد والاتساع و القوة. وذلك بفضل مهاراته العسكرية وتوسعاته، بالإضافة إلى الإصلاح الإداري وتنظيماته السياسية التي اتخذت طابعا إسلاميا. فلقد وحد مملكة البورنو مع كانم وطارد الأعداء. ولقد تمكنا من معرفة هذه الشخصية بفضل مؤلفه أحمد بن فرتيوة(أو بن فرطو)**[[158]](#footnote-158)**.

**أولا: نسبه وظروف توليته العرش:**

هو ادريس بن علي، والدته تدعى أسماء، وهي بنت احد السلاطين البولالا المدعو عمر، بعد وفاة والده كان صغيرا جدا في السن لذلك انتقل عرش المملكة إلى ابن عمه دوناما، ثم إلى ابن هذا الأخير وهو عبد الله، وفي نفس الوقت كانت والدته قد أخفته عن أعين بني عمومته لحمايته من بني عمومته باعتباره الوريث الشرعي للعرش، وكان أبناء عمومته يحالون الاحتفاظ بوراثة العرش لنسلهم من بعدهم، حيث تقول الروايات الشفوية بأنها أرسلته إلى كانم عند والدها بحيث يكون في أمان هناك. كما تقول روايات أخرى بأنها بنت له قصرا في منطقة غامبارو(Gambaru)، بعيدا عن العاصمة غازارنامو حتى عزلته عن القصر الملكي وعن الأعين، وعند وفاة عبد الله الذي لم يكن له أبناء، وعدم وجود أبناء ذكور للدوناما، ونظرا لغياب إدريس الذي كان في كانم، فانه تم تعيين ابنة عبد الله عيسا كيلي نغيرما ماراماما (Aissa kili N’guirma maramama)، التي استولت على الحكم وحاولت الاحتفاظ به ومنعه عن الوريث الشرعي إدريس، ولكنها استسلمت بعد سبع سنوات من الصراع معه من 1573 إلى 1580م**[[159]](#footnote-159)**.

بعد توليه العرشقام ادريس الوما برحاته إلى الحج خلال سنوات حكمه الأولى، حيث مر في طريقة إلى مكة بمصر التي استفاد منها بالكثير من الأشياء منها اكتشافه للسلاح الناري حيث جلب معه في طريق عودته قافلة محملة بالبنادق، كما جلب معه مدربين أتراك لتعليم جيشه استعمال هذه الأسلحة، وأسس كتيبة من البندقيين مكونة من العبيد، فلقد استفاد من هذه الأسلحة لمحاربة القبائل الوثنية في الجنوب**[[160]](#footnote-160)**.

**ثانيا: دوره في نشر الإسلام:**

كان إدريس ألوما مسلما تقيا محبا للإسلام و عمل على نشره في مملكته، حيث لما قام بأداء فريضة الحج، أنشأ بيتا يستخدمه الحجاج من إمبراطوريته وذلك عن طريق العبيد الذي حملهم معه،كما بنا مساجد حيث كان أول من بنا مسجد بالآجر، بالإضافة إلى حملته التي قادها من اجل محاربة الفواحش والزنا والكبائر في مملكته، وسن القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، قبله كانت المنازعات و الخصومات تحل من طرق زعماء القبائل بالاعتماد على الأعراف والعادات القديمة، لكن إدريس ألوما فرض تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية في القضاء، حيث كان يعين القاضي من بين العلماء المسلمين. والنتيجة أن كل نبلاء وأشراف المملكة أصبحوا مسلمين لما أصبح يشكله اعتناق الإسلام من مكانة رفعة في هذه المملكة**[[161]](#footnote-161)**.أعراف و التقاليد لكنه إدريس ألوما فرض

**ثالثا. انجازاته العسكرية:**

لقد عرف الحاج إدريس ألوما عدة خصوم منهم الهوسا في الغرب، والطوارق وتوبو . والساو في الشمال وطردهم من منازلهم، والبولالا في الشرق وتشير القصائد الملحمية انتصاراته 330 حرب وأكثر من ألف معركة. تضمنت خبرته في توظيف معسكرات ثابتة بجدران و حصون، بالإضافة إلى محاصرة أعدائه لمدة طويلة كما استعمل سياسة الأرض المحروقة حيث أحرق الجنود كل شيء في طريقهم وخيلهم المدرعة وركابهم بالإضافة إلى استخدام الجمال البربرية في حروبه، ومركبات كوتوكو، واستعمل والفرسان بلباسهم الحديدي والمدربين من طرف العثمانيين، كما كانت لديه فرق من حاملي الدرق والرماح**[[162]](#footnote-162)**.

ويشير ابن فرتيوة بأن إدريس الوما كان يشن هجماته على أعدائه في أوقات متباينة وغير معلومة، و كانت معظم غاراته في الفصول غير الماطرة، بحيث ضمت تلك الغارات الشعوب الوثنيةو ذلك من اجل الحصول على الرقيق، أو من اجل اخضاعهم، و كانت كثيرة العددو مدربة جيدا، وكانت الطبقة الارستقراطية تركب الخيول مشكلة كتيبة الفرسان، و ببدلتها المطرزة، و أحذيتها الجلدية الحمراء، وسترة قصيرة و فضفاضة، و لجام احصنتها مزينة بالجلود الملونة، لبكن هذا الجيش يفتقد الى أي انظام اوانضباط، حيث نجد الجنود الشباب يتباهون بسباقهم في الفروسية للتفاخر امام اهاليهم. أما بخصوص طريقة الحروب فهي بسيطة، فلقد كانت تقوم على النهب، و الغارات الفجائية، كما اعتمد على المستشارون العسكريون**[[163]](#footnote-163)**.

كان ادريس الوما يسلح جيشه من الأسلحة التي تحصل عليها من الدولة العثمانية ، وصف احمد بن فرتيوة واصفاً لإحدى حملات إدريس ما يلي: « **هرب عبد الجليل بن بي وهرب خوفا من جيشنا. لقد ترك زوجته و ابنة ياريما في بيته ، حيث تهرب منه عندما رأى تراب جيشنا يرتفع إلى السماء. لأنه كان على يقين من أن سلامة الرجل هو أفضل بالنسبة له من سلامة زوجته،فهرب من زوجته ، لأن الضرورة الشخصية أكثر إلحاحاً من عدم وجود زوجة** »**[[164]](#footnote-164)**.

**رابعا. دوره الدبلوماسي:**

تميزت دبلوماسيته النشطة بعلاقات مع طرابلس، ومصر، والإمبراطورية العثمانية، حيث أرسلت له هذه الاخيرة بعثة دبلوماسية تتكون من 200 عضو عبر الصحراء إلى محكمة ألوما في العاصمة نجازار ــ غامو، اين تم توقيع على أول معاهدة مكتوبة أو وقف إطلاق نار في تاريخ تشاد.

إن النشاط الدبلوماسي و العسكري للملك ادريس جعله يصنف ضمن أنجح رجال السياسة في عصره، حيث اكتسب مكانة دولية كبيرة. فلقد كتب محمود كعت ، يقول: « إن جمهور معاصرينا يتفقون بأن هناك أربعة سلاطين لا يحسبون السلطان الأعلى (سلطان القسطنطينية) للذكاء - سلطان بغداد، سلطان القاهرة، سلطان بورنو وسلطان ميلي » وصف الدكتور هاي بارث ، الرحالة الألماني في القرن التاسع عشر، إدريس الوما بأنه « أمير ممتاز، يوحّد في نفسه أكثر الصفات المعاكسة: الطاقة التي تشبه الحرب، إلى جانب درجة من الذكاء والذكاء؛ الشجاعة، مع الحذر والصبر؛ شدة مع مشاعر ورعة »**[[165]](#footnote-165)**.

**خامسا. اصطلاحاته القضائية والقانونية:**

قام إدريس الوما بعدد من الإصلاحات القانونية والإدارية على أساس الشريعة الإسلامية. ، وكما هو الحال مع ساسة ديناميكيين آخرين ، دفعته الأهداف الإصلاحية التي وضعها ألوما إلى البحث عن مستشاري وحلفاء مخلصين وكافيين ، وكثيراً ما اعتمد على العبيد الذين تلقوا تعليمهم في المنازل النبيلة. سعت Alooma بانتظام للحصول على المشورة من مجلس يتكون من رؤساء أهم العشائر. طلب من الشخصيات السياسية الرئيسية أن تعيش في المحكمة، وعزز التحالفات السياسية من خلال الزيجات المناسبة (ألوما نفسه كان ابن لأب كنوري وأم بولالا).

قام إدريس بإصلاح وتوحيد القضاء من خلال إنشاء نظام للمحاكم الإسلامية. حكم هو نفسه وفقا للنظرية السياسية الإسلامية، واتخذ موقفا ضد، من بين أمور أخرى، الفجور في العاصمة. وقد كتب أوليفر وأتمور: «ترأس محكمة تشتهر بالمستوى العالي للمنازعات القانونية واللاهوتية». ومثل معاصريه بسنغاي كان إدريس يرعى التعليم، ويشجيع العلماء من مختلف البلدان الأفريقية الأخرى من اجل الإقامة في بورنو**[[166]](#footnote-166)**.

**سادسا. انجازاته العمرانية:**

طور إدريس الوما الملاحة على نهر يوبي. وأمر ببناء مراكب كبيرة لقواته البحرية. أما بالنسبة للنقل البري، فقد استورد عددا أكبر بكثير من الجمال لتحل محل البغال والثيران والحمير. وكان الماي العظيم أيضا بناءا عظيما، حيث أقام مساجد جديدة من الطوب في المدن التي حلت محل المباني القديمة. كما أسس بيتًا في مكة المكرمة لحجاج بورنو. وبعد سقوط سونغاي في عام 1591، أصبح الماي ادريس زعيم المسلمين السود بلا منازع، كما أصبحت كانم بونو الخلافة التي ورثت سنغاي.

**سابعا. تنظيماته الاقتصادية:**

عرفت مملكة كانم بورنو تحت سلطة ألوما ثراء ومداخيل معتبرة. وكان مصدر هذه الإيرادات هي الجزية (أو الغنيمة إذا كان يجب احتلال الأشخاص المتمردين) بالإضافة إلى والغرامات الحكومية والرسوم التجارية. على عكس غرب إفريقيا ، لم يكن لدى المنطقة التشادية الذهب، لكنها كانت مركزيا لواحدة من الطرق الأكثر ملائمة للتجارة عبر الصحراء الكبرى. فبين بحيرة تشاد وفزان ، تم وضع سلسلة من الآبار والواحات، ومن فزان كانت تمتد مسالك سهلة باتجاه شمال إفريقيا والبحر المتوسط، إذ تم إرسال العديد من السلع إلى الشمال، بما في ذلك النترون (كربونات الصوديوم) ، والقطن ، وجوز الكولا ، والعاج ، وريش النعام، والعطور ، والشمع ، والجلود ، ولكن التجارة الأكثر ربحية كانت في العبيد. وشملت الواردات الملح ، والخيول ، والحرير ، والزجاج ، والسكاكين ، والنحاس**[[167]](#footnote-167)**.

اهتم ألوما باهتماما بالغا بالتجارة والمسائل الاقتصادية الأخرى. ويُنسب إليه الفضل في تطهير الطرق من قطاع الطرق، وتصميم قوارب أفضل لبحيرة تشاد، وإدخال وحدات قياس قياسية للحبوب، ونقل المزارعين إلى أراضي جديدة. بالإضافة إلى ذلك، قام بتحسين سهولة وأمن العبور من خلال الإمبراطورية بهدف جعلها آمنة إلى درجة أن "المرأة الوحيدة المكسوة بالذهب قد تمشي مع لا تخشى إلا الله.

**ثامنا. وفاته:**

توفي ادريس الوما في إحدى حروبه ضد قبيلة من الجنوب، ربما تكون قبيلة كامركوس (Gamergous)، حيث سقط في منطقة ألاو قرب أوجي حيث قُتل عن طريق حربة رماه بها أحد الوثنيين كان متخفيا داخل إحدى الأشجار، ودفن هناك قرب بركة ماء والتي ما تزال تحمل اسمه إلى اليوم**[[168]](#footnote-168)**.

**تاسعا**.**مصير مملكة كانم بورنو بعد وفاة إدريس ألوما:**

لقد شكلت وفاة إدريس ألوما نهاية القمة في هرم تطور مملكة كانم بورنو، أن الدولة حافظت لبعض سنوات بعد وفاته على ازدهارها، وخاصة في عهد أبنائه الثلاثة الأوائل الذين خلفوه، وهم ؛ محمد الملقب بــوكالماراني(1617-1632) الذي كان رجلا فطنا، صبورا وكريما مما جعل كل الأصوات المعارضة تصمت، وبعد أخوه إبراهيم(1632-1639)، وهو ابن الغامسو أي بن السلطانة الأم، ثم جاء الحاج عمر(1639-1659)، الذي توقفت في عهده الفتوحات واختار أن يعيش على أمجاد الفتوحات السابقة لكن بعد وفاة هذا الأخير وفي عهد ابنه الماي علي(1657-1694)، يبدو أن الأمور بدأت تضطرب، فخلال عودة هذا الملك من رحلة الحج الثالثة سنة 1667م، وجد أن المملكة تعرضت لهجمات طوارق منطقة الآير والكوارارفة، والذين كانوا يعيشون ازهي أيامهم و الذين كانوا يرهبون كل السودان الأوسط. و لقد أرسل الماي علي عدة فرق من الجيش من اجل للحد من خطرهم لكن بدون جدوى. بل و تمت محاصرته داخل عاصمته من طرف العدوين معا الآير والكوارارفة، قبل ان يتمكن من هزمهم كل واحد على حدى. و في عهد الماي علي ضربت البلاد مجاعة كبيرة بسبب الفوضى العارمة و انعدام الأمن**[[169]](#footnote-169)**

وعموما فغن انهيار المملكة بعد هذا الملك اخذ يتسارع، فقد خلفه ابنه إدريس (1694-1711)، ثم دوناما ابن علي(1711-1726) الذي شهدت البلاد في عهده مجاعة كبيرة دامت سبع سنوات، بعد ذلك تعرضت البلاد إلى هجمات الفلاتة من بلاد الهوسا ، وهنا بدأ عهد حكم الفقهاء. يقودهم محمد الأمين الكانمي الذي حارب البدع و قاوم الاعتداء الفولاتي و بالتالي أصبح هو الحاكم الجديد للبلاد، وزال حكم السيفيين و بدأ عهد حكم الفقهاء الذي استمر إلى غاية الاحتلال الفرنسي لتشاد**[[170]](#footnote-170).**

**المحور السادس**

**نزينغا الملكة الداهية**

**أولا. المَولد و النشأة:**

**ثانيا. توليها الحكم:**

**ثالثا. حربها ضد البرتغال:**

**رابعا. نهاية الملكة نزينغا:**

**المحور السادس**

**نزينغا الملكة الداهية**

**أولا: المَولد و النشأة:**

وتدعى أيضا " نجولا آنا نزينغا مباندا "، وهو نفس الاسم الذي استخدمه البرتغاليون في تسمية المنطقة فيما بعد وهو أنغولا، وكانت تُدعي أيضا بالملكة نزينغا، وهي واحدة من أشهر النساء الإفريقيات في مقاومة الاستعمار الأوربي،قادت الحرب ضد البرتغاليين في أنغولا لمدة أربعة عقود كاملة (1620 – 1660م)**[[171]](#footnote-171)**.

وُلِدت الملكة نزينغا عام 1581م، في كيدونغا(Kidonga) عاصمة ندونغ، وهي مملكة إفريقية صغيرة تقع في غرب المستعمرة البرتغالية المعروفة بأنغولا، حيث وُلدت في عائلة ملكية لهذه البلاد، والدها كليوانج (Kiluanji) كان ملكا لمملكة ندونغا، و الذي كان لديه أيضا ابنًا وبنتان أخربتان. عندما وُلِدت نزينغا كانت ولادتها صعبة حيث التف حول عنقها الحبل السرِّي، ويبدو أن اسمها اشتُقَّ من هذه الحادثة، فكلمة نزينغا مشتق من الفعل كوزينغا(Kujinga) في اللغة المحلية والذي يعني "التفَّ"، كما أنَّ كهنة المملكة تنبئوا لها بمستقبل استثنائي، لهذا حظيت من طرف والدها برعاية مميزة. فلقد وفَّر لها والدها تربية عسكرية بالأساس، حيث تعلَّمت منذ سن مبكر رقصا إيقاعيا مكنها من مراوغة وتجنب ضربات السِّهام، ومن المصارعة جسد لجسد، كما تعلمت فنون القتال بالحربة والقوس، ولكن الشيء الذي ابهر الجميع هو تفوُّقِها بمراحل على أخيها الأكبر "مباندي" في استعمال الفأس في القتال، و الذي يعد الرمز الملكي لمملكة ندونغو**[[172]](#footnote-172)**.

كانت نزينغا تتمتع بذكاء حاد و دهاء سياسي و قائدة ذات رؤيا مستقبلية، تزوجت مرتين في حياتها، المرة الأولى تزوجت أمير مملكة مبوندو يسمى أزيزي (Azeze) لكنه قُتِل في إحدى المعارك، بعدها تزوجت أحد الزعماء من أجل إقامة تحالف قصد تعزيز الوحدة بين شعبها وقبائل أخرى**[[173]](#footnote-173)**.

**ثانيا. توليها الحكم:**

حكمت نزينغا مملكة ندونغو خلال الفترة الممتدة (1581 و 1663م) وبالتالي فقد عرفت إفريقيا في عهدها نمواً سريعاً في تجارة العاج و الرقيق، وخاصة منذ أن توغلت البرتغال إلى المنطقة قبل قرن من الزمن على الأقل تولي نزينغا الحكم في ندونغو، وتوطدت القوة البرتغالية في المنطقة، إذ أسَّسُوا عدة مرافئ في المدن الساحلية الأطلسية من أجل تصدير العبيد إلى العالم الجديد، فمنذ 1567م تم بناء أول مرفأ لتجميع العبيد في مستوطنة لواندا (في أنغولا الحاليًة) أين تم تصدير الآلاف من العبيد نحو كوبا و البرازيل**[[174]](#footnote-174)**، فواجه الحكام الأفارقة معضلة بين الخضوع للتضحية بالاستقلال الاسمي أو تقاوم فتخاطر المقاومة بفقدان العلاقات التجارية المميزة مع البرتغال. فظهرت هنا الملكة نزينغا التي تعاملت مع الوضع بذكاء**[[175]](#footnote-175)**.

استغلت نزينغا ظروف الحرب مع البرتغال لتمهد طريقها نحو الملك. ففي سنة 1617م فَقَدت نزينغا والدها، فقام أخوها مباندي بالاستعجال بتسلُّم السلطة متجاهلا اقتراع مجلس النبلاء الذي من المفوض هو من سيختار الملك الجديد للمملكة، حيث أعلن عن نفسه ملكا حتى قبل أن يصل النبلاء المنتخبون إلى العاصمة، و شعورا منه بأنَّه غير شرعي، و خوفا من المعارضة فإن مباندي قام بقتل والدته و العديد من حاشية القصر المهمين، كما قام بقتل ابن أخته نزينغا حديث الولادة والذي أنجبته من أحد خلانها، وأمر بتعقيم أخته نزينغا وأخته الأخرى، حتى لا يكون له من ينافسه على العرش، بعدها دخل في حرب بدون هوادة مع البرتغاليين. ولكن بعد أربع سنوات من الحرب تعرضت مملكته إلى الغزو وسقطت عاصمته، وقرر الهرب إلى المناطق الشرقية من المملكة أين توجد جزر كيندونغا في نهر كوانزا**[[176]](#footnote-176)**.

فبينما قاد أخوها نجولي بيبوندي (ملك ماتامبا)، تمردًا على الحكم البرتغالي في المنطقة عام 1617م، وانهزم على أيدي قواتهم بقيادة "لويس منديس دي فاسكو"، وبعد سنوات من غارات البرتغاليين بهدف القبض على  العبيد الأفريقيين، والتي تخللها معارك متقطعة، لجأت نزينجا  إلى التفاوض من أجل الحصول على هدنة، حيث استغلت هزيمة أخيها الذي اضطر إلى إرسالها كمبعوثة له سنة 1621م للتفاوض مع الحاكم البرتغالي الجديد في لواندا و هو "جواو كاريرا دي سوزا" (Joao Carreia de Sousa)، فلقد أثبتت مهارة و حنكة كبيرتين في التفاوض منذ أول مرافعة لها أمام الحاكم البرتغالي، حيث وعدته بالعيش بسلام مع المستوطنين البرتغاليين، لكنها رفضت رفضا قاطعا أن تدفع مملكة ندونغو إتاوات سنوية في شكل عبيد كل سنة للبرتغال، و خاطبت الحاكم البرتغالي قائلة: « من وُلِد حرا فلا بد أن يحافظ على حريته و لا يجب ان يخضع لغيره أبدا»**[[177]](#footnote-177)**.

ومن اجل أن تنال ثقة الحاكم البرتغالي قامت باعتناق الديانة المسيحية من اجل تعزيز المعاهدة، كما اتخذت لنفسها اسما برتغاليا وهو "دونا آنا دي سوزا" و هذا حتى توهم عدوها الحاكم البرتغالي بأنه أصبح قدوة و أبا روحيا لها، بل دفعها دهاؤها السياسي إلى وعد البرتغاليين بتسهيل مهمات الحملات التبشيرية في بلادها، رغم انها بعيدا عنه كانت تمارس طقوسها الوثنية بكل إخلاص.**[[178]](#footnote-178)**

وبذلك اكتسبت حليفًا في الكفاح ضد أعدائها الأفارقة، وفي الوقت نفسه دعت إلى وقف غارات العبيد البرتغاليين في مملكتها. وبعد مرور سنتين من هذه الاتفاقية و استتباب الأمن وتخلُّصها من إخطار أعدائها الداخليين أيضا قامت نزينغا بقبل أخيها و قطعت رؤوس منافسيها الخطيرين و تم انتخابها من طرف مجلس النبلاء كملكة لمملكة ندونغو و ذلك في سن 42 سنة، وبالتالي كانت أول امرأة تتوج كملة لندونغو**[[179]](#footnote-179)**.

**ثالثا. حربها ضد البرتغال:**

منذ أن تولَّت نزينغا عرش ندونغو قررت أن تعطي هيبة لمملكتها، ففي سنة 1624م أعلنت أن ندونغو مملكة مستقلة و أن العبيد الموجودين على أراضيها لا يمكن تسليمهم لمالكيهم السابقين، فلقد قدمت الملكة الملاذ الآمن لكل العبيد الهاربين و رحبت بهم ، و أصبحوا يشكلون أهم شريحة مساندة لها في الحكم، كما تصدت بكل شراسة للتمرُّدات التي تعرضت لها من طرف تجار العبيد البرتغاليين، وبذلت قصارى جهدها لمنع أخذ العبيد من ندونغو، حيث كانت البرتغال قد أسست أول مستوطنة في إفريقيا لتجميع العبيد في أَمباكا (Ambaka) سنة 1616م، وذلك تحت إدارة الحاكم البرتغالي لويس منداس فاسكونسيلو (Louis Mendes vasconcelos)، والذي أصبح يُهدِّد بشكل مباشر مملكة ندونغو، ثمَّ تمّ بناء مركز أخز لتجميع العبيد في لواندا.

لهذا حاولت الملكة إقامة تحالف بين ندوغو والبرتغال**[[180]](#footnote-180)**، لكن بعد سنتين من إقامة الصلح مع البرتغاليين قام هؤلاء بنقض هذا الصلح، فهاجموا مرة أخرى ندونغو فاندلعت الحرب مرة أخرى فحاربت نزينغا و قاتلت البرتغاليين في العديد من المعارك بين سنتي 1624 و1661، حيث حاربت ; وقاتلت كملكة شرسة ، مستعملة طقوس الأفارقة البدائيين من نهب و سلب ومصِّ دماءَ أعدائهم فأدخلت الرعب في صفوف أعدائها، لكن البرتغاليون انتصروا بدورهم في العديد من المعارك، قبل مجيء الهولنديين إلى المنطقة فاستغلت الملكة ل احتلال الهولنديين لواندا سنة 1641، وطردهم للبرتغاليين للتحالف معهم على مبدأ عدو العدو صديق، وقامت بإرسال عبيد إلى الشركة الهولندية للهند الشرقية، وبمساعدة الهولنديين تمكنت من إلحاق هزيمة شنيعة بالبرتغاليين سنة 1648م**[[181]](#footnote-181)**،

في سنة 1656م أصبحت الملكة نزينغا ملكة لمملكتين هما ندونغو وماتمبا بعدما ضمت هذه الأخيرة إليها وخلصتها من الاستعمار البرتغالي، وحولتها إلى اكبر مركز تجاري في المنطقة**[[182]](#footnote-182)**، فقد استغلت بدهاء سياسي كبير ظروف الصراع بين القوى الأوربية والمنافسة التجارية الشرسة بينهما وبين مبشري الكنيستين المسيحيتين اليسوعية والفرانشيسكانية، وفرضت على البرتغاليين هدنة أخرى عطلت استقرارهم في المنطقة لعدة سنوات. كما انها تحولت في آخر حياتها بعد بلوغها سن 75 إلى مبشرة للديانة المسيحية وحولت مملكتها إلى مملكة مسيحية**[[183]](#footnote-183)**.

**رابعا. نهاية الملكة نزينغا:**

عندما بلغت 75 سنة من عمرها خصَّصت نزينغا ما تبقَّى من حياتها لنشر المسيحية في ندونغو وماتمبا، واختارت من بين حاشيتها شاب اسمه سيباستيا (Sébastéao) وتخلَّت عن أربعين رجل من خلَّانها، وتزوجته حسب المراسيم المسيحية، كما أعلنت عن توقيف طقوس التضحية البشرية التي كانت معتادة عليها، وفي سنة 1661م تلقت رسالة من البابا أَلِكسندر السابع يدعوها فيها بالأخت في المسيحية ويعترف لها باستقلال مملكتها، و بعد ثلاثة أيام من تلقيها تلك الرسالة توفيت الملكة نزينغا**[[184]](#footnote-184)**.

**المحور السابع**

**الإمام أحمد بن إبراهيم وجهاده بالحبشة**

**أولا.الظروف التي ظهر فيها أحمد بن إبراهيم:**

**ثانيا: مولده ونشأته:**

**ثالثا. ظروف إعلانه الجهاد:**

**رابعا.جهاده ضد ملوك الحبشة المسيحيين**

**المحور السابع**

**الإمام أحمد بن إبراهيم وجهاده بالحبشة**

**أولا.الظروف التي ظهر فيها أحمد بن إبراهيم:**

خلال العصور الوسطى كانت منطقة القرن الإفريقي التي تضم اليوم بلاد الصومال وإثيوبيا وإيريتيريا وجيبوتي منطقة صراع بين مملكة الحبشة المسيحية الذين كانت تمثلها الأسرة السليمانية وملكها الملقب بالنجاشي، وبين المسلمين الذي كانوا منتشرين ضمن دويلات إسلامية صغيرة تسمى بلاد الزيلع أو بلاد الطراز الإسلامي(التي كانت تتكوم من إمارات كل من عدل، هرر، إيفات، دوارو، بالي، داره، هدية، شوا، ومملكة شرخة). ولم تكن الحدود ثابتة بين هذه الدول لهذا كان الصراع والغزو هو الوضع الذي ميز العلاقات بينهم وخاصة بين البلاد الزيلع المسلمة و مملكة الحبشة المسيحية**[[185]](#footnote-185)**.

ومع ظهور الأسرة السليمانية**[[186]](#footnote-186)** المتعصبة ملوك أحباش متعصبين للمسيحية خلال القرن 16م مثل النجاشي (لبنا دنجل) الملقب بذاود الثالث، وابنه كلاوديوس حيث عانى المسلمون في عهدهم أياما عصيبة، حيث شنوا حروبا دامية على المسلمين الزيالعة، و اضطهدوهم، و ضموا أراضيهم إلى أراضي مملكة الحبشة المسيحية، وتقلصت مملكتهم إلى أن أصبحت تضم هرر فقط، والتي كادت أن تسقط نهائيا. ولم يكتف ملوك الحبشة بالاعتداءات بل تعدى بهم الأمر إلى العمل على تنصير مسلمي الزيلع إجباريا متخذين في ذلك كل الوسائل من ترغيب و ترهيب، وقيامهم بحرق المصاحف و تخريب المساجد، وتعذيب النصارى الذين اعتنقوا الإسلام، وانتهى بهم الأمر إلى فرض الجزية على الأمراء المسلمين الذي رضخ عدد منهم إلى شروط السلم مع الحبشة مثل سلطان عدل. الذي أصبح يحارب المسلمين باعتبارهم أعداء ملك الحبشة التي أصبح يدافع عن سياستها بحكم الصلح الذي بينهما خاصة بعد مقتل الامير شهاب الدين أحمد بدلاي **[[187]](#footnote-187)**.

في هذه الظروف ظهر احمد بن إبراهيم الذي تولى أمر المسلمين. وجمع كلمتهم ولقبوه بالإمام ، وبالغازي وبصاحب الفتح،، ولقبه الأحباش بالغراني (Gragn) أي الأعسر، ولقد عمل على التوغل إلى داخل الأراضي الحبشية فوصل إلى الأقاليم الشمالية و انتصر عليهم في عدة مواقع حتى كاد ان يفنيهم، وقد جاهد الإمام احمد الأحباش لمدة 12 سنة من سنة 1531 إلى 1543م، وكان يحارب بجيش قدر عدده بعشرة آلاف مقاتل إلى أن استشهد في إحدى المعارك**[[188]](#footnote-188)**.

**ثانيا: مولده ونشأته:**

ولد الإمام أحمد بن إبراهيم عام912 هجرية الموافق 1506ميلادية في في قبيلة "جدبورسي" وهي مدينة ساحلية تقع في شمال غرب الصومال (التي كانت جزءا من سلطنة عدل) عاصمة سلطنة عدل في عهد سلطانها الأمير محمد محفوظ**[[189]](#footnote-189)**، اشتهر باسم أحمد جران، وهو الاسم الذي اختاره لنفسه بعد أن أسلم، ولقب أيضا بالغران أي الأشول، ولقد كان ابنًا لقسيس في مقاطعة أيجو بالحبشة، ثم اتصل بالمسلمين وسمع بعض دعاتهم في مقاطعة عدل، فدخل الإسلام مقتنعًا به، متحمسًا لدعوته، نشأ أحمد في مملكة عدل صراع على السلطة، بين الطبقة الأرستقراطية الإسلامية التقليدية، التي تمثلها بصفة خاصة فئة التجار ومن يساندها من العلماء، وكانت هذه تدعو إلى دعم السلام مع الحبشة المسيحية ولو بتأدية الجزية، وذلك لضمان مصالحها الاقتصادية، وبين الفئة العسكرية من الصوماليين المسلمين، التي كانت تسعى للتخلص من التبعية الحبشية عن طريق الجهاد، والتوسع في أرض الحبشة وعلى العموم فإن الأمام أحمد كان في بداية حياته فارسا في جيش (الجراد أبون)**[[190]](#footnote-190)**أمير مقاطعة عدل، الذي كان رجلا صالحا أقام الحق وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وقتل قطاع الطرق وأبطل الخمور واللعب والرقص والطبول وعمرت البلاد وأحب الأشراف والفقهاء والمشايخ وسيطر على مملكته**[[191]](#footnote-191)**. وقد تم ذلك بعد أن نقل عاصمة دولة عدل في عام 1521 إلى مدينة هرر كانت الحبشة في ذلك الوقت تحت حكم الملك "لبني دنجل" واستغل فرصة ضعف هذا الملك الذي كان صغيرا في السن فكانت أمه الملكة هيلانه وصية عليه تتحكم في أمور الدولة وكان الملك الشاب يستهين بقوة المسلمين، لهذا لم تأخذ الأمر بحزم، ولقد تمكن الجراد أبون أن يتحكم في زمام الإمارة الإسلامية عدل بينما كان السلطان أبو بكر مجرد ظلا لنفسه.

هناك روايات تقول بان الإمام حمد كان الشقيق الأصغر للجراد أبون، الذي يكون قد أصر على ضمه إلى صفوف جيشه وهو في عمر 12 سنة فقط، وهو ما جعل الأمير محفوظ حاكم هرر يقول له: «لم يعرف الجيش في تاريخه دخول طفل في الثانية عشر من عمره... أيسرُّك أن تراه مذبوحا أمامك»**[[192]](#footnote-192)**، واستمر احمد غران في العمل في صفوف جيش أخيه جراد أبون إلى غاية مقتله من طرف بعض قبائل الصومال التي كانت ترى في إصلاحات الجراد ابون تهديدا لنشاطها في السلب والنهب وقطع الطرق، والذين كانوا مدفوعين ومدعومين من الأمير أبي بكر الذي كان يشعر انه لم يكن يملك من السلطة إلا الاسم أمام تعاظم مكانة و قوة الجراد أبون**[[193]](#footnote-193)**.

**ثالثا. ظروف إعلانه الجهاد:**

بعد مقتلِ الجراد ابون من طرف قطاع الطرق استعاد السلطان أبو بكر زمام حكم إمارته، و كان السلطان ابو بكر من ذرية المجاهد سعد الدين، لكن حفيده كان خاضعا للأحباش، ضعيفا ظهر في عهده قطاع الطرق وشرب الخمور وكثر الظلم، مما أثار غضب الفقهاء وشيوخ الدين الذين اشتكوا من أمره بسبب تركه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتشار المحرمات، ولم يجد الناس من ينصفهم ، ولما علم الإمام احمد بخروجه عن منهج الكتاب و السنة هرب من البلاد هو و جماعة من عساكره ولجؤوا إلى منطقة **( آبت)** وكان عدد خيولهم أكثر من مائة فنصبوا الجراد عمر الدين زعيما عليهم وأعلنوا تمردهم على الأمير أبي بكر، معلنين الجهاد، وكانت أول غارة قاموا بها على الأحباش كانت بهجومهم على احد بطارقة دوارو الذي قام بسبي نساء المسلمين و اخذ أموالهم و مواشيهم، فقتل من البطارقة عددا كثيرا ومن الجنود المسيحيين الآلاف، و غنم المسلمين ستين فرسا و عدد من البغال والعربات وحرروا أسرى المسلمين واستردوا مواشيهم المغتصبة و كان أول انتصار يحققه احمد بن إبراهيم على الأحباش**[[194]](#footnote-194).**

وبعدها استشهد الأمير عمر الدين في إحدى المعارك، وكان الإمام احمد يحارب جبهتين الإمبراطور الحبشي المسيحي من جهة وسلطان عدل أبي بكر الذي غدر بهم وأعلن ولاءه للإمبراطور الحبشي**[[195]](#footnote-195)**. فدخل الإمام احمد في صراع مع السلطان ابي بكر انهزم فيها الإمام أحمد في البداية في معركة قرن و انسحب إلى مسقط رأسه في بلدة تسمى هبت، حيث كان السلطان يطارده من اجل القضاء عليه، لكن الإمام استجمع قواه و هزمه في موقعتين و هزمه و عاد الإمام منتصرا إلى هرر بينما هرب السلطان أبي بكر إلى عاصمته الأولى دكر. ورغم محاولات الفقهاء للصلح بينهما و تم الاتفاق بتقسيم السلطة بين أبي بكر و الإمام احمد، إلا أن الصراع تجدد مرة أخرى و حاول الفقهاء الصلح بينهما من جديد لكن السلطان آبي بكر رفض ذلك و أصر على التخلص من الإمام و أعلن الحرب من جديد، تمكن من خلالها الإمام احمد من قتل السلطان أبي بكر الذي حل محله أخوه عمر الدين بن محمد كسلطان لعدل، فزال الشقاق وعاد السلم والوئام و ليتفرًّغ الإمام احمد بن إبراهيم لجهاد الأحباش وصدهم عن بلاد المسلمين و غزو بلادهم**[[196]](#footnote-196)**.

بعدها تمكن من قتل السلطان أبي بكر و تفرغ لمحاربة الإمبراطور، فمنع موظفيه من جمع الإتاوات من أراضي المسلمين، أو من أن يدخلوا عاصمة عدل هرر، و اتخذ راية له، ونظم أموره بتقسيم البلاد إلى خمسة أقسام و عين على كل منها أميرا و كان ذلك سنة 1527م.

**رابعا.جهاده ضد ملوك الحبشة المسيحيين:**

حقق الإمام احمد انتصارات عظيمة و فتح سلطنة دوارو، وقتل قائدها وسيطر على جنوبي شرق الجبشة، وسيطر على ايفات في سنة 935 هـ / 1529 في موقعة ( **شنبر كوري** ) أو (**صمبر كوري**)**[[197]](#footnote-197)** وأسر عدد كثير من المسيحيين بما فيهم بنت خالة الإمبراطور الحبشي وافتديت بخمسين ألف أوقية من الذهب**[[198]](#footnote-198)**.

ثم انتقل إلى محاربة بلاد الحبشة داخل أراضي المسيحيين، فلجأ الأحباش إلى التحالف مع البرتغاليين سنة 1526م. فلجأ الأتراك إلى مساعدة احمد بن إبراهيم وأمدوه بالجنود وبالأسلحة النارية و المدفعية ، و بالتالي أحرز الأمير أحمد نصراً على الأحباش وأعقب ذلك في 1531 بدخوله "دوارو وشوه ومهره ولاسا"، واستعاد إمارات " بالي وهدية وسدامة " وهكذا لم يأت عام 1535 حتى كان المسلمين يسيطرون على جنوب الحبشة ووسطها مما اضطر الملك الحبشي للهروب من وجه الإمام،وهكذا اتخذت المعارك بين الطرفين صورة حرب دينية**[[199]](#footnote-199)**.

وكان نجاح الإمام في اقتحام أبواب عاصمة الملك الحبشي ( أمهرا ) أثراً كبيراً، وأصبح الإمبراطور مطاردا و لجأ إلى قمم الجبال، كما أدت انتصاراته إلى اعتناق عدد كبير من الأحباش للإسلام، وتمكن احمد من احتلال اكسوم نفسها. وبذلك سيطرت الجيوش الإسلامية على بلاد الحبشة بزعامة احمد بن إبراهيم ، وأخذت النصرانية في الانهيار تحت ضغط المسلمين، و لكن وصول القوات البرتغالية لمساعدة المسيحيين أدت إلى استشهاد أحمد بن إبراهيم سنة 1542م(**[[200]](#footnote-200)**).

بعدما استشهد احمد بن ابراهيم في احدى المعارك سنة 1543م، خلفه على قيادة المسلمين ابن اخته الأمير نور الدين بن مجاهد إماماً ليخلف خاله في الجهاد واستطاع أن يتصدى للجيوش الحبشية و الذي استطاع قتل الملك كلاديوس.

**خاتمة عامة**

إن موضوع الشخصيات الإفريقية التي ساهمت في تاريخ القارة و تاريخ الإنسانية يكتسي الكثير من الأهمية، كما انه موضوع يصعب تغطيته في منهاج تعليمي خاصة إذا كان المقياس سداسي ويدرس لمدة نصف موسم جامعي فقط، فالإنسان الإفريقي صنع التاريخ منذ فجر التاريخ من خلال البقايا الأثرية التي بينت انه كان السباق في صناعة الأدوات الحجرية و الحديدية، عبر مراحل ما قبل التاريخ و النيويليتي، وكان مبدعا في رسم واقعه و تاريخه عن طريق لوحات وجداريات ما تزال تشهد على عراقة هذا الإنسان حتى وإن مرَّ على ذلك الآلاف من السنين، لكن منذ ظهور التاريخ والكتابة افتقد المؤرخون للآثار التي تدون النشاط الإنسان الإفريقي، و ربما راجع إلى الثقافة الشفوية للأفارقة فلم يعد يصلنا من تلك المراحل التاريخية إلى الشواهد الأثرية او بعض الروايات الشفوية التي تختلط فيها الأسطورة و الفنطازيا بالوقائع التاريخية، فجعلت تاريخ هذه المراحل غامضة، و بقيت الكثير من البطولات و الزعامة مجهولة.

لكن الشيء الذي يجب أن ينتبه إليه طلبتنا الأعزاء هو أنه بداية من القرن السابع الميلادي طرأت على الإنسان الإفريقي مؤثرات حضارية جددت فيه الدماء الحضارية و أعطت للقارة السوداء نفسا جديد، وذلك من خلال بداية انتشار الإسلام الذي أعطى للأفارقة هوية جديدة و دين جديد و لغة جديدة، فهذه الهوية هي الهوية الإفريقية الإسلامية، أما الدين فهو عقيدة التوحيد، و أما اللغة فهي لغة الحضارة العربية، التي شكلت وعاء تمكن من حفظ التراث الإفريقي وخلَّد الأعمال الإفريقية وأدخل الإنسان الإفريقي إلى حلبة التاريخ من باب الحضارات الراقية والممالك الإفريقية الواسعة والإنجازات الخالدة، فارتفعت الآذان في أدغال إفريقيا من بلاد الداغومبا في غانا وبلاد الموشي في بوركينا فاسو، وبرز العلماء في جوامع تنبكتو وجني في بلاد الساحل ، وازدهرت تجارة القوافل الممتدة بين كونغ في كوت ديفوار و أودغست في بلاد الطوارق في الشمال، و نشأت صناعة النسيج في أسواق كونغ و كونوغو و بلاد الهوسا و حتى بلاد الكونغو.

لهذا فإننا عندما نخوض في دراسة أي شخصية افريقية في العصور الوسطى إلا و وجدنا أن الفاتحين والدعاة والمصلحين كانوا دائما يتصدرون المشهد، من خلال آثارهم و تراثهم المادي والمعنوي الذي تركوه في هذه القارة و حتى خارج القارة.

**قائمة الببليوغرافيا**

**أولا: المصادر العربية:**

1. البكري (أبي عبيد)، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب وهو جز من كتاب المسالك والممالك، مكتبة أمريكا و الشرق ميزونوف، باريس، 1965م.

2. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم)، تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (المعروف بالرحلة)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م.

3.ابن حجر العسقلاني**،** الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م.

4. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر(تاريخ ابن خلدون)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 200م

5. كعت محمود بالملك الفاضل التقي الورع.( تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس. طبعة هوداس وموريس دولافوس، المكتبة الأمريكية و الشرقية، باريس، 1964م.

6. السعدي(عبد الرحمان)، تاريخ السودان.طبعة هوداس، باريس،1964.

شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان، كتاب فتوح الحبشة، لندن، المملكة المتحدة، 1894.

7.العمري(ابن فضل الله شهاب الدين)المتوفى سنة 749هـ**:**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق: عزة احمد عباس،الطبعة الأولى، أبو ظبي ، المجمع الثقافي،2002م، السفر الرابع.

8.المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك. تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، 1420هـ/2000م.

9.ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص عمر)، خريدة العجائب و فريدة الغرائب.طبع بمصر، سنة 1922.

**ثانيا: المراجع العربية:**

1.جوان جوزيف: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري (القاهرة) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

2.رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع والنصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار زيلع للطباعة والنشر، مقديشو، الصومال، 2013م.

3.زبادية(عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الالسقيين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر.

4.شعباني نور الدين، عائلة كيتا ودورها في مملكة مالي الإسلامية - من القرن الخامس الى القرن العاشر الهجريين/ ق11- ق16م، دار القدس الذهبية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2019.

5. شعباني نور الدين، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر للنشر، الجزائر، 2015م.

6.شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن سالم بن عثمان، كتاب فتوح الحبشة، لندن ، المملكة المتحدة، 1894.

7.الشكري أحمد ، الإسلام والمجتمع السوداني ـ إمبراطورية مالي 1230ـ1430م. المجمع الثقافي، أبو ضبي،الإمارات العربية المتحدة، 1999 م /1420ه.

8.علي عبد الظاهر علي، ما اخفاه التاريخ من قص منسية لبطولات أسطورية، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، الطبعة الاولى ، 2017.

9.عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الأولى ، 1998م.

10. علي عبد الظاهر علي، ما أخفاه التاريخ من قص منسية لبطولات أسطورية، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2017، الطبعة الأولى.

11.الكعاك(عثمان)، البربر.نشر مؤسسة تامغناست، تونس،1375 ه.

12.يوسف أحمد، الإسلام في الحبشة، طبعة أولى، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935م.

**ثالثا: المراجع باللغات الأجنبية:**

1 . André Kisalu Kiala, Le drame angolais2. , L’Harmattan, Paris, 2015. .

2. [André Kisalu Kiala](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Andr%C3%A9+Kisalu+Kiala%22), Angola : Trajectoire dramatique d’un Pays, L’Harmattan, Paris, 2015.

Bjorrn Roar bye , Aboubakary2roi du Manding découvert l’Amérique avant Christoph colombe. In : *Afrique passion*, éditions GAP, ville franche de Rouergue,2002, N°3

3. Bernard Lugan ,God bless Africa ,Contre la mort programmé du continent noir.2ème édition, Editions Carnot, NewYork, USA, 2003

4.Catherine Coquery-Vidrovitch, des Reines mères aux épouses de président, In *: Politique Africaine*, Karthala, 2004, N°95, Pp19-31 [*https://www.cairn.info/revue-politique-africaine-2004-3-page-19.htm*](https://www.cairn.info/revue-politique-africaine-2004-3-page-19.htm)

5***.***Catherine Lee, *World-Changing Women: Queen Nzinga, In :*

[*https://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/world-changing-women-queen-nzinga*](https://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/world-changing-women-queen-nzinga)*,* Updated Wednesday, 25th February 2015

6.Cornevin (Robert et Mariane) : Histoire de l’Afrique, des origines à la 2ème guerre mondiale. 4ème édition, petite bibliothèque Payot, Paris, 1974

#### 7. Coumbis Hope Lowie, Des femmes, des dieux et du sang : les plus grandes reines d’Afrique. In : https ://www.vanityfair.fr/savoir-vivre/story/les-reines-dafrique-les-plus-puissantes-de-lhistoire/193, Publié le JEUDI, 19 OCTOBRE 2017

8. Davidson (Bazil) , Les royaumes Africains. Collections Time -Life, 1967

9. David(C.Conrad) and Djanko (Tassey candé) , Soundjata ; West epic of the Mande peoples. Hackett publishing campany, Indiana polis, 2004

10.Delafosse(Maurice) , Haut Senegal-Niger, Emile Larose librairie Editeur, Paris, 1912

11.Diawara(Gaoussou), Aboubakari2, explorateur Manding. Editions L’harmattan, Paris, 2010

12.Diakité (Drissa),Kouyaté, La force des serments, Aux originesdu Griots Mandingue, Editions l’Harmattan, Paris, 200913.

[Dirk C. Gibson](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Dirk+C.+Gibson%22),Legends, Monsters, or Serial Murderers? The Real Story Behind an Ancient Crime, ABC-CLIO éditions, Cameroun,2012. Sandro Capo chichi, Hangbé la seule Reine Du Dahomey. In : [*https://www.nofi.media/2014/10/hangbe-la-seule-reine-du-dahomey /1655*](https://www.nofi.media/2014/10/hangbe-la-seule-reine-du-dahomey/1655)

14.Doumbia Fakoly , Fakoli, Prince du Mande :Récit historique, Editions L’harmattan, Paris, 2003.

15.Doudu N’diaye rose,L’histoire de l’épopée Mandingue. In site :

http: //www. si.umish.edu.consulté le:20-08-2008

16.E .W Bovil and Robin Hallet: The golden trade of the Moors; West African kingdoms in the fourteenth centry.Edited by: Markus Wiener Hallet Publisher, 1995

17.Tidiane N’diaye ,La longue marche des peuples noirs. . Editions , Publibook, Paris, 2007

18.[Flavien MUZUMANGA Ma-Mumbimbi](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Flavien+MUZUMANGA+Ma-Mumbimbi%22),Trinité et sens de la foi des fidèles, éditions Babao, Kinshasa, 2019

19.Gorden Innes, Bamba Suso, Bana Kanuté, and dembo Kanuté : Soujata : Three Mandinka versions, London, 1974

20.Jansen(Jean) , Epopée, histoire, société. Le cas de Sundjata, Mali et Guinée, Editions Karthala, Paris, 1999

20.Jean-François Paillard, Njinga, La fascinante reine guerrière d’Angola,In :

*https://www.caminteresse.fr/histoire/njinga-la-fascinante-reine-guerriere-dangola-11125648/*

John William Johnson, thomas. A. Hale and Stephen Paterson, The epic of son-Jara.A West African tradition. Indiana universitypress, 1992

21.Kati (Mahmoud), Tarikh el fettach. Traduit par: O.Hodas et Maurice Delafosse, Paris, 1913

22.Kouassi Germain , Le phénomène de l’appropriation linguistique, Editions Publibook, Paris, 2007

23. Lilyan Kesteloot et Bassirou Dieng , Les épopées d’Afrique noirs . Editions Karthala et Unesco, Paris, 2009

24.Lilyane Kesteloot et Bassirou dieng,  Lilyan( Kesteloot) et Bassirou(Dieng) : Les épopées d’Afrique noirs . Editions Karthala et Unesco, Paris, 2009

25. Madina(Lytall)**,** Quelques précisions sur les relations entre l’empire du Mali et le Gabou. *In Ethiopiques,* Revue negro -Africaine de littérature et de philosophie. N°28, Octobre, 1981

26.Marie-Odile Attanasso, *Femme et pouvoir politique au Benin des Origines Dahoméennes a nos jours*, imprimerie COPEF, Cotonou, Benin, 2012.

27. Mauny( Raymond) ,Les siècles obscurs de l’Afrique noire, Librairie fayard,1970

28.Mamadi aissa ,Traditions et légendes du Soudan occidentale. Traduit de L’Arabe par Maurice Delafosse, Publié par :Comité de l’Afrique Française, Paris, 1913

29. Monteil vinçent : L’islam noir, une religion à la conquête de l’Afrique. 2ème ditions seuil, France, 1980

30.Milet (Eric) et Manaud (Jean –Luc): Mali : Magie d’un fleuve aux Couffins du disert .Edits Olizane,Genève, Suisse, 2007

31.Nadine Martinez : Art contemporain - art traditionnel : aller-retour Mali-Mali. Editions l’harmattan, Paris, 2009

32.Nambala(Kanté) avec la collaboration de Pierre Erny : Forgerons D’Afrique noire, transmission des savoirs traditionnels en pay Malinké.Editions : l’harmattan, Paris, 1993

33.Niane temsir djibril , Histoire et tradition historique du Mandingue. In revue Présence Africaine, Année1974, N°83, volume1

34.Pathé Diagne,Tarana ou L’Amérique précolombienne : Un continent Africain.Editions l’harmattan, Paris, 2010

35.Seydou Camara , La tradition orale en question. *Cahier d’études Africaines*, Année 1996, volume36, *N°*144

36.Stella Abasa Dadzie, AKick in the Belly : Women Slavery and Resistance, First Published by Verso , New York, USA,2020

37.Sory (Camara)**,** Génie de parole, Essai sur la condition et le rôle Des griots dans la société Malinké. Editions Karthala, Paris, 1992

38. Urvoy(yves), Histoire de l’empire du bournou, Librairie Larose, Paris, 1949

39.Xavier (van der stappen) : L’Afrique fleuve Niger : Le dioliba en Canoe. Editions l’harmattan, Paris, 1996.

40.Youssouf tata cissé , Wà kamissoko, la grande geste du Mali,tome 1 , Des origines la fondation de l’empire, Editions Karthala, Paris, 1988

41.Youssouf tata cissé et Wà kamissoko, La grande geste du Mali, Tome 2 Soundjata la gloire du Mali). Editions Karthala, Paris, 2009

**.رابعا:المقالات باللغة العربية:**

**1**.آدم أديبايو سراج الدين، رؤية نقدية لكتاب تاريخ الماي إدريس و غزواته، للإمام احمد برنوي، مجلة قراءات افريقية، عدد الثالث،. ديسمبر 2017 م

2. نور الدين شعباني، طائفة اليارسي ودورها في حضارة ممالك نهر الفولتا بين القرنين 16و17م، *المجلة التاريخية الجزائرية*، مجلد3، عدد2، ديسمبر 2019.

3.آدم أديبايو سراج الدين، رؤية نقدية لكتاب"تاريخ الماي ادريس و غزواته"، شبكة الالوكة، موقع الكتروني: [*https://www.alukah.net/culture/0/69061*](https://www.alukah.net/culture/0/69061)

4.صفاء علي، الملكة أمينة. محاربة مسلمة صنعت مجد أفريقيا، موقع الكتروني:

# [*https://www.aljazeera.net/news/women/2019/7/15*](https://www.aljazeera.net/news/women/2019/7/15)

# 5.عبد الله عيسى السلامة، الإسلام مرجعية لمملكة مالي خلال القرن08ه/14م، مجلة البيان الإلكترونية، عدد مارس2014، موقع الكتروني:

*https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=3567*

6. عبد الله عيسى سلامة، مكانة المرأة في مجتمع السودان الغربي ما بين القرنين 11و 16م، *سلسلة البحوث والدراسات*، برنامج إفريقيا، قضايا التاريخ والحضارة، رقم 2 يوم 24 مارس (آذار) 2021 موقع الكتروني: *https://gulffutures.org/archives/2737*

# 7.منة الله حمادي، نساء في التاريخ، الملكة أمينة محاربة شجاعة و أوَّلُ حاكمة في جنوب إفريقيا، موقع الكتروني: *https://www.youm7.com/story/2020/5/15*

8.نيان تمسير جبريل:مالي و التوسع الثاني للماندينغ، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، الصادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، المجلد الرابع.

9. محمد الفاسي وايفان هربك، مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا .ضمن كتاب*: تاريخ إفريقيا العام،* الصادر عن منظمة اليونسكو ، مطبعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، الطبعة الثانية،1997م

**الفـــــهرس العام**

|  |  |
| --- | --- |
| **المحاور و عناصرها الجزئية** | **الصفحات** |
| **مقدمة** | 01 |
| **المحور الأول**  **شخصية سوندياتا كيتا**  **مؤسس إمبراطورية مالي الإسلامية**  أولا: سونديا في المصادر التاريخية:........................................................  1 . أسـمـاؤه:..........................................................................  2.مولده و نشأته......................................................................  3. اعتناقه للإسلام:....................................................................  ثانيا . مجهودات سوندياتا في بناء الإمبراطورية:............................................  1. مجهودات سوندياتا العسكرية:........................................................  أ. استعداداته لمحاربة ملك الصوصو:......................................................  ب. معركة كيرينا: ......................................................................  ج. معركة نارينا:.......................................................................  د . توحيد بلاد مندي:.................................................................  2. النشاط العسكري لسوندياتا:........................................................  أ. غزو الجولوف:.......................................................................  ب. إخماد ثورة مالنكي الجبال:..........................................................  ج.غزو بلاد المور (الطوارق).............................................................  د. توسعاته نحو الغرب وتأسيس مملكة كابو (غمبيا):.......................................  3.الإنجازات السياسية والتنظيمية:........................................................  أ.إنشاء العاصمة:......................................................................  ب.تنظيم الدولة: ......................................................................  \* تشريعات كوروكان فوكا:.............................................................  **المحـــور الثاني**......................................  **أبو بكر الثاني الملك المغامر**  أولا : حقيقة نسبته إلى فرع سوندياتا كيتا:...........................................  ثانيا: مناقشة حقيقة اكتشافه للقارة الأمريكية:........................................  1.ما ذكرته المصادر العربية حول الموضوع:...........................................  2.بعض الأدلة حول نجاح رحلته................................................... | 02  03  05  06  10  12  14  14  17  23  25  28  28  31  32  33  34  34  36  36  39  40  42  42  46 |
| **المحور الثالث.....................................**  **منسا موسى كيتا (كونكو موسى)**  **الملك الحاج**  أولا: منسا موسى في المصادر العربية:..................................................  ثانيا: ظروف اعتلائه عرش مالي:.......................................................  ثالثا: أسماؤه و ألقابه:.................................................................  رابعا: رحلته الشهيرة إلى الحج:.........................................................  خامسا: دوره في ازدهار وحضارة إمبراطورية مالي:........................................  سادسا: وفاته:....................................................................... | 49  50  51  51  52  54  55 |
| **المحور الرابع.....................................**  **أسكيا محمد توري (ملك سنغاي)**  أولا. نسبه و مولده و صفاته:...........................................................  ثانيا . ظروف توليه عرش سنغاي:.......................................................  ثالثا.رحلته الشهيرة إلى الحج:............................................................  رابعا. أهم إصلاحاته:...................................................................  1.الإصلاحات العسكرية:..............................................................  2. فتوحاته العسكرية:..................................................................  3. تنظيماته:..........................................................................  أ.التنظيمات السياسية:.................................................................  \* إنشاء منصب نائب الملك:...........................................................  \* تنظيم الأقاليم:.......................................................................  \*إنشاء مؤسسات ووظائف الدولة:.......................................................  ب. إصلاحه للعدالة و القضاء:.........................................................  خامسا.النهاية المأساوية للأسقيا الحاج محمد توري: ........................................ | 56  57  58  60  61  61  61  63  63  63  63  64  65  65 |
| **المحور الخامس....................................**  **الماي إدريس ألوما ملك كانم بورنو**  **(1580-1617)**  أولا. نسبه وظروف توليته العرش:.......................................................  ثانيا: دوره في نشر الإسلام:.............................................................  ثالثا. إنجازاته العسكرية:.................................................................  رابعا. دوره الدبلوماسي:.................................................................  خامسا. اصطلاحاته القضائية و القانونية:................................................  سادسا. انجازاته العمرانية:...............................................................  سابعا. تنظيماته الاقتصادية:............................................................  ثامنا. وفاته: ..........................................................................  تاسعا.مصير مملكة كانم بورنو بعد وفاة إدريس ألوما:....................................... | 67  68  69  70  71  71  72  72  73  73 |
| **المحور السادس**....................................  **نزينغا الملكة الداهية**  أولا. المَولد و النشأة:………………………………………………………………..  ثانيا. توليها الحكم:………………………………………………………...  ثالثا. حربها ضد البرتغال:……………………………………………………  رابعا. نهاية الملكة : ……………………..………………………………… | 75  76  77  79  80 |
| **المحور السابع**…………..………………  **الإمام أحمد بن إبراهيم وجهاده بالحبشة**  أولا.الظروف التي ظهر فيها أحمد بن إبراهيم:……………………………………..  ثانيا: مولده ونشأته: ………………………………………………………  ثالثا. ظروف إعلانه الجهاد:………………………………………………….  رابعا.جهاده ضد ملوك الحبشة المسيحيين…………………………………………  **خاتمة عامة** | 81  82  83  84  86  87 |
| **قائمة الببليوغرافيا** | 88 |
| **الفهرس العام** | 94 |

1. **2** Mauny( Raymond) ,Les siècles obscurs de l’Afrique noire, Librairie fayard,1970,p 154. [↑](#footnote-ref-1)
2. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر(تاريخ ابن خلدون)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 200م، المجلد السادس، ص266. [↑](#footnote-ref-2)
3. **2** نفسه، ص 267. [↑](#footnote-ref-3)
4. John William Johnson, thomas. A. Hale and Stephen Paterson, The epic of son-Jara.A West African tradition. Indiana universitypress, 1992 , p13. [↑](#footnote-ref-4)
5. **معركة خيبر** : هي معركة خاضها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ضد يهود خيبر في السنة السابعة للهجرة حيث تحصن اليهود بحصنهم بقريتهم المعروفة بخيبر المجاورة للمدينة، والواقعة على قمة جبل .وقد قاد هذهالمعركة علي بن أبي طالب في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس، وانتصر عليهم، وكان فتح بعض خيبر عنوة وبعضها صلحا على الجلاء، فقسمها الرسول صلى الله عليه و سلم، وأقرّ اليهود على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم ولهم النصف من كل ما تخرج من زرع أو تمر يقرهم على ذلك ما بدا لهم. (ابن خلدون، العبر ، مج2، ص 453). [↑](#footnote-ref-5)
6. لا تذكر الرواية أسماء هذه القرى ال12 لإمارة دو ويكتفي البمبارا بذكر أنها تقع جميعها غرب منطقة سيغو ـ انظر: Youssouf tata cissé , Wà kamissoko, la grande geste du Mali,tome 1 , Des origines la fondation de l’empire, Editions Karthala, Paris, 1988 , tome1, p373. [↑](#footnote-ref-6)
7. Youssouf tata cissé et Wà kamissoko, La grande geste du Mali, Tome 2 Soundjata la gloire du Mali). Editions Karthala, Paris, 2009, p77. [↑](#footnote-ref-7)
8. David(C.Conrad) and Djanko (Tassey candé) , Soundjata ; West epic of the Mande peoples. Hackett publishing campany, Indiana polis, 2004, p37 [↑](#footnote-ref-8)
9. () العبر ،مصدر سابق، مج6 .ص266. [↑](#footnote-ref-9)
10. **1** Youssouf tata cissé et Wà kamissoko , la grande geste du Mali, tome2, p238. [↑](#footnote-ref-10)
11. **2** Seydou Camara , La tradition orale en question. *Cahier d’études Africaines*, Année 1996, volume36, *N°*144, p770. [↑](#footnote-ref-11)
12. **3** Niane temsir djibril , Histoire et tradition historique du Mandingue. In revue Présence Africaine, Année1974, N°83, volume1, p59 [↑](#footnote-ref-12)
13. Sory (Camara)**,** Génie de parole, Essai sur la condition et le rôle Des griots dans la société Malinké. Editions Karthala, Paris, 1992, p771. [↑](#footnote-ref-13)
14. على خلاف كل الرواة الشفويين فإن راوي كيرينا " وا كاميسوكو " يقول بأن والد سوندياتا لم يكن في يوم من الأيام ملكا و إنما كان رجلا ذا مكانة و جاه فقط. la grande geste du Mali,tome2, p238.p303 [↑](#footnote-ref-14)
15. **6** John William (Johnson) , Thomas A. Hale and fa diji(Sissoko) , The epic of son-Jara.A West African tradition. Indiana university press, 1992, p69. [↑](#footnote-ref-15)
16. john William(Johnson) , OP .Cit, p13. [↑](#footnote-ref-16)
17. **1**  Youssouf tata cissé , Op.Cit, pp238, 303,305 ; voir aussi, Johnson Thomas A. Hale andStephen Petersen , Oral épics from. Africa, pp13 et 14. [↑](#footnote-ref-17)
18. **2** Mamadi aissa ,Traditions et légendes du Soudan occidentale. Traduit de L’Arabe par Maurice Delafosse, Publié par :Comité de l’Afrique Française, Paris, 1913. , p107 [↑](#footnote-ref-18)
19. Youssouf tata cissé :op.Cit. p110 [↑](#footnote-ref-19)
20. **3** نيان تمسير جبريل:مالي و التوسع الثاني للماندينغ، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، الصادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، المجلد الرابع، ص 143. [↑](#footnote-ref-20)
21. Youssouf tata cissé : Op.Cit, p129

    نشير هنا إلىأن هناك روايات أخرى تقول بأن ملك الصوصوزحف على بلاد مندي قبل أن يهجرها سوندياتا، وقبل حتى أن يستطيع أن يقوم على رجليه، و تذهب هذه الروايات إلىأن سوندياتا قام بقتل الملك منسا دنكران تومان وإخوته العشرة الذين تعاقبوا على العرش من بعده،و ذلك في ظرف سنة واحدة فقط. وتضيف تلك الروايات بأن سومنغورو لم يقتل سوندياتا نظرا لإعاقته، حيث قلل من شأنه واستصغره.ـ حول هذه الروايات أنظر أيضا:

    Mamadi (Aisa), Traditions historique de l’Afrique occidentale, p21 . [↑](#footnote-ref-21)
22. **1**Youssouf tata cissé ,Wà kamissoko, la grande geste,t1,p279 [↑](#footnote-ref-22)
23. **2**ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المتوفى سنة779هـ):تحفة النظار و غرائب الأمصار وعجائبالأسفار (المعروف بالرحلة)، دار صادر،بيروت ،لبنان،1992م. ، ص 698 [↑](#footnote-ref-23)
24. محمد الفاسي وايفان هربك، مراحل تطور الإسلام وانتشاره في إفريقيا .ضمن كتاب*: تاريخ إفريقيا العام،* الصادر عن منظمة اليونسكو ، مطبعة حسيب درغام وأولاده، لبنان، الطبعة الثانية،1997م، ص 126. [↑](#footnote-ref-24)
25. **2** Gorden Innes, Bamba Suso, Bana Kanuté, and dembo Kanuté : Soujata : Three Mandinka versions, London, 1974, p36. [↑](#footnote-ref-25)
26. **3** Mamadi (Aissa) ,Op  Cit, p20 - Gorden Innes, Bamba Suso, Bana Kanuté, and dembo Kanuté, Soujata, p36.جوان جوزيف، الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري (القاهرة) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م ، ص165 [↑](#footnote-ref-26)
27. **4** Delafosse(Maurice) , Haut Senegal-Niger, Emile Larose librairie Editeur, Paris, 1912, Tome2, p162. [↑](#footnote-ref-27)
28. **1** Youssouf tata cissé , Op.Cit, p133. [↑](#footnote-ref-28)
29. **2** Tidiane N’diaye ,La longue marche des peuples noirs. . Editions , Publibook, Paris, 2007, P31. [↑](#footnote-ref-29)
30. **3** Lilyan Kesteloot et Bassirou Dieng , Les épopées d’Afrique noirs . Editions Karthala et Unesco, Paris, 2009, p110 [↑](#footnote-ref-30)
31. **4** نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص137 [↑](#footnote-ref-31)
32. **2** Youssouf tata cissé : Op.Cit. p 11 [↑](#footnote-ref-32)
33. **4** Mamadi (Aissa) ,Op.Cit, p22 [↑](#footnote-ref-33)
34. **5** أحمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني ـ إمبراطورية مالي 1230ـ1430م. المجمع الثقافي، أبو ضبي،الإمارات العربية المتحدة، 1999 م /1420ه، ص 181. [↑](#footnote-ref-34)
35. **3** Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,La grande geste du Mali .tome2 , p12 [↑](#footnote-ref-35)
36. Ibid , p12 [↑](#footnote-ref-36)
37. Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,Op.Cit , p12.  [↑](#footnote-ref-37)
38. Ibidem. [↑](#footnote-ref-38)
39. **3** نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص143. [↑](#footnote-ref-39)
40. **4** John william Johnson, Thomas(A. Hale) and Stephen (Paterson) : Oral épics from Africa., Op.Cit, p20 [↑](#footnote-ref-40)
41. **1** نيان تمسير جبريل، المرجع السابق، ص143. [↑](#footnote-ref-41)
42. **4** **.**Nambala(Kanté) avec la collaboration de Pierre Erny : Forgerons D’Afrique noire, transmission des savoirs traditionnels en pay Malinké.Editions : l’harmattan, Paris, 1993.

    , p50. ـ Youssouf tata cissé  , Wa kamissoko. La grande geste, tome1, p173 ـ نيان تمسير جبريل: المرجع السابق، ص143 ـ [↑](#footnote-ref-42)
43. **1** Delafosse (Maurice) , H S-N , tome 2, p167. [↑](#footnote-ref-43)
44. **2**John william (Johnson) ,Op.Cit, p20. [↑](#footnote-ref-44)
45. وفي روايات أخرى نجد بأن سومنغورو هو الذي سمح لها بالذهاب إلى مندن بعدما أخبرته بأنها تريد أن تحضر ملعقتها وايناءها الذهبيين الذين لا تستطيع الاستغناء عنهما.(Meyer(Gérard) :Op.Cit, p145) [↑](#footnote-ref-45)
46. **1** Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,La grande geste, tome2, p15. [↑](#footnote-ref-46)
47. **2** Youssouf tata cissé et Wa kamissoko ,La grande geste, tome2, p16 ; Tidiane N’diaye , Op .Cit, p31 . [↑](#footnote-ref-47)
48. **3** Youssouf tata cissé , Op.Cit, p16 [↑](#footnote-ref-48)
49. **1** Youssouf tata cissé et Wa kamissoko, Op.Cit, p16 [↑](#footnote-ref-49)
50. وتعرف أيضا بفولادو، وهي منطقة تاريخية متواجدة بكازامانس العليا في جنوب السنغال بالقرب من الحدود مع جمهورية غينيا الحالية. ويمكن تحديد موقعها في الوقت الحالي بمقاطعة كولدا(Kolda)ونواحيها . [↑](#footnote-ref-50)
51. Youssouf tata cissé et Wa kamissoko , La grande geste, tome2, p17 [↑](#footnote-ref-51)
52. **1** Doumbia Fakoly , Fakoli, Prince du Mande : Récit historique, Editions L’harmattan, Paris, 2003, p114. [↑](#footnote-ref-52)
53. **2** Lilyane Kesteloot et Bassirou dieng,  Lilyan( Kesteloot) et Bassirou(Dieng) : Les épopées d’Afrique noirs . Editions Karthala et Unesco, Paris, 2009**,** p117 ; John William Johnson, Orals epics from Africa, p20. [↑](#footnote-ref-53)
54. Mamadi Aissa ,Op.Cit, p29 ; ـ Delafosse (Maurice) , Haut Senegal-Niger, t2, p169 [↑](#footnote-ref-54)
55. **2** Delafosse ,Op.Cit, p180. [↑](#footnote-ref-55)
56. **1** Kouassi Germain , Le phénomène de l’appropriation linguistique, Editions Publibook, Paris, 2007, p72. [↑](#footnote-ref-56)
57. La grande geste, t1, p219 [↑](#footnote-ref-57)
58. Ebidem, p219 [↑](#footnote-ref-58)
59. Monteil vinçent : L’islam noir, une religion à la conquête de l’Afrique. 2ème ditions seuil, France, 1980, Pp39 et 48. [↑](#footnote-ref-59)
60. **3** Jansen(Jean) , Epopée, histoire, société. Le cas de Sundjata, Mali et Guinée, Editions Karthala, Paris, 1999, p277. [↑](#footnote-ref-60)
61. **2** La grande geste du Mali, tome2, pp43 et 87 [↑](#footnote-ref-61)
62. **3** التيتل هو حيوان إفريقي ضخم له قرون منحنية، وله جلد بني يميل إلى الأحمر، وكفل أبيض صغير، ويرعى فيشكل قطعان في السهول الإفريقية، وخاصة في أواسط الجنوب الغربي من إفريقيا، ويعرف باللغة الفرنسية بـ (Bubale). [↑](#footnote-ref-62)
63. **4** نيان تمسير جبريل ، مالي والتوسع الثاني للماندينغ، ص 144، في الهامش. [↑](#footnote-ref-63)
64. Diakité (Drissa),Kouyaté, La force des serments, Aux originesdu Griots Mandingue, Editions l’Harmattan, Paris, 2009, p182 [↑](#footnote-ref-64)
65. Ibid, p182.

    **3** Johnson(John), Op.Cit, p278 [↑](#footnote-ref-65)
66. La grande geste du Mali, tome2, p 94. [↑](#footnote-ref-66)
67. **1**  Niane djibril temsir , Histoire des Mandingues de l’ouest,p18 [↑](#footnote-ref-67)
68. **2** Niane djibril temsir , Histoire des Mandingues, Op.Cit, p18 [↑](#footnote-ref-68)
69. **1** Delafosse(M) , Haut Sénégal- Niger, t2, p165, [↑](#footnote-ref-69)
70. **1** La grande geste, t2,p46, [↑](#footnote-ref-70)
71. **2** Madina(Lytall)**,** Quelques précisions sur les relations entre l’empire du Mali et le Gabou. In Ethiopiques, Revue negro -Africaine de littérature et de philosophie. N°28, Octobre, 1981. [↑](#footnote-ref-71)
72. **2** هي مدينة سان لويس الحالية. [↑](#footnote-ref-72)
73. **1** Kati (Mahmoud), Tarikh el fettach. Traduit par: O.Hodas et Maurice Delafosse, Paris, 1913, p66. [↑](#footnote-ref-73)
74. **4** Monteil (Charles) , Les empires du Mali. Paris, 1968, p299. [↑](#footnote-ref-74)
75. 1 Haut Sénégal-Niger,t2,p181 [↑](#footnote-ref-75)
76. Ibid,,p66 [↑](#footnote-ref-76)
77. **1**Diawara(Gaoussou), Aboubakari2, explorateur Manding. Editions L’harmattan, Paris, 2010, p51. [↑](#footnote-ref-77)
78. Ibid, p51. **2** [↑](#footnote-ref-78)
79. تقول بعض الروايات المنقولة بأن هذا الدستور يتضمن 130 مادة، لكنها لم تحتفظ إلاّ بـ 44 مادة فقط. أنظر: سولومانا كونتي: مذكرة تاريخ مندن القديم و الحديث.

    In revue électronique: Copyright :N°C, année 1999-2000 .  [↑](#footnote-ref-79)
80. **1** تشير الروايات لكيلا بأن سوندياتا كانت له زوجة رابعة كان قد تزوج بها عندما غزا المناطق الجنوبية، ولم يكن يعرفها أحد إلى غاية إشرافه على الموت عندما أسر لقائديه تيراماكان وفاكولي بأن له زوجة رابعة وهي حبلى، فأوصاهم بها خيرا.أنظر:

    Wa kamissoko et Youssouf tata La grande geste du Mali,t 2 p123, [↑](#footnote-ref-80)
81. Gaoussou Diawara :Aboubakari2, explorateur Mandingue.Op.Cit, p71, 72. [↑](#footnote-ref-81)
82. Delafosse (Maurice) ,Op.Cit, p186 [↑](#footnote-ref-82)
83. Niane temsir djibril : Recherches sur l’empire,p16 [↑](#footnote-ref-83)
84. **2** المصدر السابق،ص267 . [↑](#footnote-ref-84)
85. Doudu N’diaye rose,L’histoire de l’épopée Mandingue. In site :

    http: //www. si.umish.edu.consulté le:20-08-2008 [↑](#footnote-ref-85)
86. gaoussou Diawara:Op.Cit, p71 [↑](#footnote-ref-86)
87. العمري (شهاب الدين أبو الفضل): المصدر السابق، ص121 . **1**

    Milet (Eric) et Monaud (Jean-Luc) ,Op. Cit, p34.

    Nadine Martinez : Art contemporain - art traditionnel : aller-retour Mali-Mali. Editions l’harmattan, Paris, 2009, p9. [↑](#footnote-ref-87)
88. Xavier (van der stappen) : L’Afrique fleuve Niger : Le dioliba en Canoe. Editions l’harmattan, Paris, 1996, p152. ; Milet (Eric) et Monaud (Jean-Luc) :Op.cit,p34 [↑](#footnote-ref-88)
89. Delafosse (Maurice) :Op.Cit, p186 [↑](#footnote-ref-89)
90. هو الشيخ الفقيه النحوي القاضي المؤرخ زين الدين أبي حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المعري البكري المشهور بابن الوردي ،عاش بين(691 -749 هـ /1292 - 1349م) منشعراء القرن الثامن الهجري . ولد في المعرة غرب مدينة حلب بالشام (سوريا) زمن المماليك سنة 689 هـ ((وقيل أنه ولد سنة 691هـ )) كان من علماء اللغة العربية والنحو والفقه والأدب والتاريخ كما دل على ذلك تلك المصنفات المتنوعة له، اشتهر بالزهد والورع وحسن الخلق وطيب المعشر، فكانت لهمهابةفي قلوب معاصريه.تولى القضاء في منبج شيزر وحلب، ثم ما لبث أن ترك ذلك كله =وعزل نفسه لمنام رآه كتب أبياتاً في ذم القضاء وأهله، ثم اشتغل بالتعليم والتأليف حتى شاع ذكره وطار صيته في البلدان، توفي بالطاعون سنة 749 هـ/1349م . [↑](#footnote-ref-90)
91. ابن الوردي (سراج الدين أبي حفص عمر)، خريدة العجائب و فريدة الغرائب.طبع بمصر، سنة 1922، ص54. [↑](#footnote-ref-91)
92. العمري، المصدر السابق، ص ص120و 121. [↑](#footnote-ref-92)
93. Xavier van der stappen ,L’Afrique du fleuve de Niger,le Dioliba en canoé.Editions l’Harmattan, Paris, 1996, p151. [↑](#footnote-ref-93)
94. Doudou N’diaye rose ,l’histoire de l’épopée Mandingue. In site : <http://www.si.umish.edu>. Consulté le : 20-06-2008 [↑](#footnote-ref-94)
95. **2** حول هذا الموضوع انظر:

    Bernard Lugan ,God bless Africa ,Contre la mort programmé du continent noir.2ème édition, Editions Carnot, NewYork, USA, 2003, pp de58 au151. [↑](#footnote-ref-95)
96. Leyden et Murray (Hugh) ,Histoire complète des Voyages et découvertes en Afrique, pp86,87. [↑](#footnote-ref-96)
97. Xavier van der stappen :Op.Cit, p152 . [↑](#footnote-ref-97)
98. هو محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي الحميري. عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري**/**13**م**. ولد بمدينة سبتة، يرجح أنه كان كاتبًايعمل في توثيق **ا**لعقود وترجعشهرةالحميريإلىكتابه الروضالمعطارفيخبرالأقطاروهو معجم جغرافي لا يخلو من سرد بعض الأخبار والوقائع التاريخية، ومرتب على حسب الحروف. وعلى الرغم من أن الحميري نقد الإدريسي نقدًا شديدًا في بداية كتابه، إلا أنه نقل عنه كثيرًا وخصوصًا في وصف أسبانياوقداهتم (الروضالمعطار بوصف المدن والأقطار والجزر وبعض المحيطات والبحار)، وقد وصف كثير من الباحثين الحميري بأنه نقل كثيرًا عن غيره ومع ذلك فإليه يرجع الفضل في حفظ كثير من الروايات التي تُعد أصولها مفقودة. [↑](#footnote-ref-98)
99. الروض المعطار،ص 509. [↑](#footnote-ref-99)
100. ابن الوردي(سراج الدين عمر)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب.مطبعة مصطفى البائي الحلبي وأولاده، مصر،1341 هـ / 1922م، ص ص 18 وما يليها. [↑](#footnote-ref-100)
101. الكعاك(عثمان)، البربر.نشر مؤسسة تامغناست، تونس،1375 هـ، ص12 . [↑](#footnote-ref-101)
102. علي محمد الغامدي، مالي و القارة الأمريكية. مقال نشر في الموقع الالكتروني:

     www.wekipedia\_mali :org نشر يوم:10ـ09 ـ2007 [↑](#footnote-ref-102)
103. Tidiane N’diaye, Op.Cit, p49. [↑](#footnote-ref-103)
104. Milet(Eric) et Manaud(Jean-Luc) ,Mali.Editions Olizane, Genève, 2007, p34. [↑](#footnote-ref-104)
105. هو شاعر ،كاتب ورجل سياسي سنغالي، ولد يوم 09 أكتوبر 1906 م . كان أول رئيس سنغالي(بين 1960وـ1980م)، كما كان أول إفريقي جلسبالاكادمية الفرنسية، وكان أيضا وزيرا فيفرنسا قبل استقلا بلاده، =خلال =الثلاثينيات من القرن العشرين ارتبط بعدد من المثقفين الأفارقة بالخارج وانشؤوا جريدة الطالب الأسود والتي خلالها جاء بمصطلح نغريتود(Négretude)أوالسودائية التي يشرحها بما يلي( السودائية هي بكل بساطة أن تعترفبأنك أسود، و تقبل مصيرك كأسود، و بتاريخك و ثقافتك). [↑](#footnote-ref-105)
106. إن الحضارة ماقبل الكولمبية أو ما قبل الاسبانية (Préhispanique) يقصد بها الفترة التي ساد فيها السكان الأصليون في أمريكا اللاتينية قبل اكتشافها من طرف كريستوف كولومبوس. [↑](#footnote-ref-106)
107. Tidiane N’diaye ,Op.Cit, p49. [↑](#footnote-ref-107)
108. علي محمد الغامدي، المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-108)
109. هوأحد الكتاب الأمريكيين وأحد قادة ما يعرف بباراسونتريزم (Paracentrisme)،وهي حملة تبحث عن صيغة لإعطاء الثقافة والشخصية الإفريقية دور في التاريخ العالمي، ويعتقد أصحابها بأن الغرب يقللون من أهمية الحضارات الإفريقية، لذلك أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عنها. [↑](#footnote-ref-109)
110. الميلانيزيين les Mélanisiens  : هم شعب استقر في كاليدونيا الجديدة منذ حوالي أربعة آلاف سنة على الأقل، ويعتقد أنهم قدموا من منطقة بورنيو بالفلبين، وقد انتشروا أيضا في جزر المحيط الهادي . [↑](#footnote-ref-110)
111. Pathé Diagne,Tarana ou L’Amérique précolombienne : Un continent Africain.Editions l’harmattan, Paris, 2010, p226 [↑](#footnote-ref-111)
112. Opcit. p49 [↑](#footnote-ref-112)
113. Bjorrn Roar bye , Aboubakary2roi du Manding découvert l’Amérique avant Christoph colombe. In : *Afrique passion*, éditions GAP, ville franche de Rouergue,2002, N°3. [↑](#footnote-ref-113)
114. المصدر السابق، ص267 [↑](#footnote-ref-114)
115. العمري(ابن فضل الله شهاب الدين)المتوفى سنة 749هـ**:**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق: عزة احمد عباس،الطبعة الأولى، أبو ظبي ، المجمع الثقافي،2002م، السفر الرابع،ص 108 [↑](#footnote-ref-115)
116. تاريخ السودان، ص7. [↑](#footnote-ref-116)
117. Cornevin (Robert et Mariane) : Histoire de l’Afrique, des origines à la 2ème guerre mondiale. 4ème édition, petite bibliothèque Payot, Paris, 1974, p163 [↑](#footnote-ref-117)
118. **1** العمري(ابن فضل الله)، مصدرسابق، ص121. [↑](#footnote-ref-118)
119. **1** جوان جوزيفّ، الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري (القاهرة) ودار الكتاب اللبناني (بيروت)، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م ، ص72. [↑](#footnote-ref-119)
120. كعت(محمود)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس.طبعةهوداس وموريس دولافوس، المكتبة الأمريكية و الشرقية،باريس،1964م.، ص 57. [↑](#footnote-ref-120)
121. **2** العمري :نفس المصدر ، ص121 ، ـ السعدي: تاريخ السودان،ص 8، ـ المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء و الملوك. تحقيق و تعليق جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م، ص 143. [↑](#footnote-ref-121)
122. **3** العمري، المصدر السابق، ص ص119 و 121 [↑](#footnote-ref-122)
123. Milet (Eric) et Monaud (Jean Luc): Op.Cit,p37 [↑](#footnote-ref-123)
124. Davidson (Bazil) , Les royaumes Africains. Collections Time -Life, 1967, p84. [↑](#footnote-ref-124)
125. العمري،المصدر السابق،ص118. [↑](#footnote-ref-125)
126. Milet (Eric) et Manaud (Jean –Luc): Mali : Magie d’un fleuve aux Couffins du disert .Edits Olizane,Genève, Suisse, 2007, p37 [↑](#footnote-ref-126)
127. **2** ابن خلدون، المصدر السابق، ص 268 [↑](#footnote-ref-127)
128. **3** جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 75 [↑](#footnote-ref-128)
129. **4** العربي(إسماعيل)، الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م،ص 305 [↑](#footnote-ref-129)
130. **5** ابن حجر العسقلاني: ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة852للهجرة): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م ج4،ص384.Delafosse :Op.Cit, p189 [↑](#footnote-ref-130)
131. E .W Bovil and Robin Hallet: The golden trade of the Moors; West African kingdoms in the fourteenth centry.Edited by: Markus Wiener Hallet Publisher, 1995,p89. [↑](#footnote-ref-131)
132. السعدي، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص 72. [↑](#footnote-ref-132)
133. تاريخ الفتاش، مصدر سابق، ص52. [↑](#footnote-ref-133)
134. السعدي(عبد الرحمن)، تاريخ السودانن مصدر سابق، ص72.. [↑](#footnote-ref-134)
135. يشير دولافوس بان هذا النهر ربما يكون عبارة عن فيضانات السيول المائية التي تخرج من الجبال جراء الأمطار الغزيرة، علما بان كوني هي كلمة ماندية تعني السيل.انظر:

     Delafosse(Maurice), Haut Sénégal-Niger, Op.cit, p82. [↑](#footnote-ref-135)
136. Mahmoud Kati, Tarikh el fettach, traduit par :Traduit par: O.Hodas et Maurice Delafosse. Paris, 1913, p89. [↑](#footnote-ref-136)
137. محمود كعت، تاريخ الفتاش ، مصدر سابق، ص 54. [↑](#footnote-ref-137)
138. السعدي(عبد الرحمان)، تاريخ السودان، مصدر سابق، ص 72. [↑](#footnote-ref-138)
139. زبادية(عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الالسقيين، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص31. [↑](#footnote-ref-139)
140. شعباني نور الدين، محاضرات في ممالك السودان الغربي، دار الجزائر للنشر، الجزائر،2018، طبعة أولى، ص 72. [↑](#footnote-ref-140)
141. زبادية، مرجع سابق، ص33. [↑](#footnote-ref-141)
142. **الموشي (أو الموسي):** هم سكان الجنوب القادمون من منطقة الداغومبا بغانا والذي استقروا فيما بعد بنهر فولتا العليا، وأسسوا ممالك وثنية خلال القرن 11م، اشهرها مملكة واغادوغو ومملكة ياتينغان والتي اصبحت قوية خلال القرن الرابع عشر وتمكنت في مناسبتين من تهديد مملكة سنغاي من خلال الهجوم على تنبكتو ونهبها وحرقها.انظر: نور الدين شعباني، طائفة اليارسي ودورها في حضارة ممالك نهر الفولتا بين القرنين 16و17م، ***المجلة التاريخية الجزائرية***، مجلد3، عدد2، ديسمبر 2019، ص ص 101-120. [↑](#footnote-ref-142)
143. السعدي، المصدر السابق، ص ص 76ـ 74 ـ 75. [↑](#footnote-ref-143)
144. محمود كعت، تاريخ الفتاش، ص 59. [↑](#footnote-ref-144)
145. زبادية، مملكة سنغاي، مرجع سايق، ص38. [↑](#footnote-ref-145)
146. زبادية(عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الالسقيين، مرجع سابق، ص32. [↑](#footnote-ref-146)
147. Delafosse(Maurice), Haut Senegal-niger, tome2, p176. [↑](#footnote-ref-147)
148. زبادية(عبد القادر)، مملكة سنغاي في عهد الالسقيين، مرجع سابق، 38. [↑](#footnote-ref-148)
149. محود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس.طبعةهوداس وموريس دولافوس، المكتبة الأمريكية والشرقية،باريس،1964م. [↑](#footnote-ref-149)
150. زبادية، مرجع سابق، ص35. [↑](#footnote-ref-150)
151. Delafosse(Maurice), Haut Senegal-Niger, tome2, Op.Cit, p87. [↑](#footnote-ref-151)
152. زبادية، مملكة سنغاي، مرجع سابق، ص36. [↑](#footnote-ref-152)
153. شعباني نورالدين ن محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص71. [↑](#footnote-ref-153)
154. كان علي فلن عبدا للأسقيا محمد توري لكنه كان مخلصا له و هذا ما جعله يصبح من أمناء سره المقربين، ورافق الأسقيا في كل أعماله و أنجازاته و ولم يتخلّ عنه. [↑](#footnote-ref-154)
155. محمود كعت، مصدر سابق، ص93. [↑](#footnote-ref-155)
156. شعباني نورالدين ن محاضرات ..، مرجع سابق، ص72. [↑](#footnote-ref-156)
157. السعدي(عبد الرحمن)، تاريخ السودان، ص88 ؛ كعت(محمود) تاريخ الفتاش، ص87. [↑](#footnote-ref-157)
158. عنوان هذا كتاب هو ( من شأن سلطان إدريس ألومه وما وقع بينه وبين أمراء بلاد كانم ) لمؤلفه الإمام أحمد البرنوي أشهر المؤلفات العربية التاريخية البرنوية، وقد قامت بطباعته مطبعة الأميرية في كنو، ويعد هذا الكتاب وغيره للمؤلف من أهمّ المصادر في تاريخ كانم برنو الإسلامي. هو كتاب يجمع مناقب (الماي إدريس ألومه) وفضائله، وما كان يلتزمه من مجاهدات تقوم على التقوى والتوكل على الله، كما أمدّنا هذا المؤلف بتفاصيل كثيرة عن غزواته وحروبه ضدّ الكافرين المشركين في المملكة. عدّ الإمام أحمد البرنوي أحد العلماء الأفذاذ الذين ظهروا في مملكة كانم برنو في العصور الوسطى، وقد ترك كثيراً من المؤلفات حتى لتشبه في مجموعها دائرة المعارف الكبرى تضمّ العلوم الشرعية والأدبية والتاريخية.

       وقد عمل كاتباً للسلطان في البلاط الملكي، ويشير حديثه الكثير عن القضايا والشرائع التي كان يفصل فيها للسلطان في العديد من شؤون الإدارة؛ إلى أنه كان مستشاراً للملك في الأمور الدينية وغيرها وأنه أدى دوراً خطيراً ملموساً في الشؤون السياسية في الإمبراطورية، وقد أتاحت هذه المكانة للمؤلف أن يرى بنفسه ومن قريب كلّ ما كان في هذه الدولة من عوامل قوة أو انحلال وضعف، وهو ما أعانه على كتابة مؤلفه العظيم في تاريخ مملكة كانم برنو.

     انظر: **آدم أديبايو سراج الدين**، رؤية نقدية لكتاب تاريخ الماي إدريس و غزواته، للإمام احمد برنوي، مجلة قراءات افريقية، عدد الثالث،. ديسمبر 0227 م ، ص41. [↑](#footnote-ref-158)
159. Urvoy(yves), Histoire de l’empire du bournou, Librairie Larose, Paris, 1949, p74. [↑](#footnote-ref-159)
160. Ibid, p77. [↑](#footnote-ref-160)
161. Urvoy(yves), Histoire de l’empire du bournou,Op.Cit, p84. [↑](#footnote-ref-161)
162. Ibid, p76. [↑](#footnote-ref-162)
163. شعباني نور الدين ، محاضرات...، مرجع سابق، ص89. [↑](#footnote-ref-163)
164. آدم أديبايو سراج الدين، رؤية نقدية لكتاب"تاريخ الماي ادريس و غزواته"، شبكة الالوكة، موقع الكتروني:

     <https://www.alukah.net/culture/0/69061> تم الاطلاع عليه يوم:10افريل 2014م. [↑](#footnote-ref-164)
165. تاريخ الفاتش، مصدر سابقن ص82. [↑](#footnote-ref-165)
166. شعباني نور الدين، محاضرات في ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص 89. [↑](#footnote-ref-166)
167. Urvoy, yves, Histoire, Op.Cit, p80. [↑](#footnote-ref-167)
168. نور الدين شعباني، محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، مرجع سابق، ص89. [↑](#footnote-ref-168)
169. Urvoy eves, Histoire de l’empire du Bournou, Op.Cit, p85. [↑](#footnote-ref-169)
170. شعباني نور الدين، مرجع سابق، ص 90. [↑](#footnote-ref-170)
171. Stella Abasa Dadzie, ***AKick in the Belly : Women Slavery and Resistance***, First Published by Verso , New York, USA,2020, p19. [↑](#footnote-ref-171)
172. Jean-François Paillard, **Njinga, La fascinante reine guerrière d’Angola**,In :

     *https://www.caminteresse.fr/histoire/njinga-la-fascinante-reine-guerriere-dangola-11125648/* [↑](#footnote-ref-172)
173. # [Dirk C. Gibson](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Dirk+C.+Gibson%22),Legends, Monsters, or Serial Murderers? The Real Story Behind an Ancient Crime, ABC-CLIO éditions, Cameroun,2012, P104.

     [↑](#footnote-ref-173)
174. Jean-François Paillard, **Njinga,** Op.Cit. [↑](#footnote-ref-174)
175. Catherine Lee, *World-Changing Women: Queen Nzinga, In :* [*https://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/world-changing-women-queen-nzinga*](https://www.open.edu/openlearn/history-the-arts/world-changing-women-queen-nzinga)

     Updated Wednesday, 25th February 2015. [↑](#footnote-ref-175)
176. Jean-François Paillard, **Njinga,**Op.Cit. [↑](#footnote-ref-176)
177. Ibid [↑](#footnote-ref-177)
178. Ibid [↑](#footnote-ref-178)
179. Jean-François Paillard, **Njinga,**Op.Cit. [↑](#footnote-ref-179)
180. [Dirk C. Gibson](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Dirk+C.+Gibson%22), **Legends, Monsters, or Serial Murderers**, Op.Cit, p105. [↑](#footnote-ref-180)
181. [André Kisalu Kiala](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Andr%C3%A9+Kisalu+Kiala%22), Angola : Trajectoire dramatique d’un Pays, L’Harmattan, Paris, 2015,, P35 [↑](#footnote-ref-181)
182. Ibid, P31. [↑](#footnote-ref-182)
183. # [Flavien MUZUMANGA Ma-Mumbimbi](https://www.google.dz/search?hl=ar&tbo=p&tbm=bks&q=inauthor:%22Flavien+MUZUMANGA+Ma-Mumbimbi%22),Trinité et sens de la foi des fidèles, éditions Babao, Kinshasa, 2019, P131.

     [↑](#footnote-ref-183)
184. Jean-François Paillard, Op.Cit,. [↑](#footnote-ref-184)
185. رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع و النصارى الحبشة في العصور الوسطى، دار زيلع للطباعة والنشر، مقديشو، الصومال، 2013م، ص ص 19-43. [↑](#footnote-ref-185)
186. اسرة مسيحية متطرفة تدعى الاسرة السليمانية نسبة الى النبي سليمان و زوجته بلقيس، فلقد تاسست هذه الاسرة على يد ملك متطرف يدعى يكونو املاك الذي كان حاقدا على المسلمين و العرب و مدعوما من طرف الكنيسة الارثودكسية بالإسكندرية، حيث استغل تنازع ملوك ممالك الطراز الاسلامي على السلطة ليخضعهم الواحدة تلو الاخرى بمساعدة بعض ملوكها. انظر: عطية مخزوم الفيتوري، دراسات في تاريخ شرق افريقيا و جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الاسلام)، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، الطبعة الاولى ، 1998م، ص161. [↑](#footnote-ref-186)
187. رجب محمد عبد الحليم، العلاقاتالسياسية بين مسلمي الزيلع و نصرى الحبشة، مرجع سابق، ص ص 150-151. [↑](#footnote-ref-187)
188. يوسف أحمد، الاسلام في الحبشة، طبعة اولى، مطبعة حجازي، القاهرة، 1935م، ص38. [↑](#footnote-ref-188)
189. قام الامير محفوظ في البداية بحركة جهاد ضد الاحباش و اشتبك معهم و جاءه الدعاة من بلاد العرب وأعانوه بالسلاح والرجال غير أن ظهور البرتغاليين وإغارتهم على الزيلع أدي إلى فشل ثورته و مقتله في النهاية. [↑](#footnote-ref-189)
190. الجراد هي وظيفة ادارية انشأها الملك الحبشي (زرء يعقوب) آخر ملوك الاسرة السليمانية ، تتمثل في حيث أن الجراد هو حاكم مقاطعة تابعة لامبراطورية الحبشة يخض للامبراطور و ينفذ سياستها ويحارب اعدائها داخل الامبراطورية وخاصة المسلمين، وكان الجراد ينتمي الى طبقة العسكر وله الحق في مصادرة الاراضي و فرض الاتوات داخل مقاطعته. ( عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص172). [↑](#footnote-ref-190)
191. **2** شهاب الدين احمد بن عبد القادر (الملقب بعرب فقيه)، فتوح الحبشة**،** ص 7. [↑](#footnote-ref-191)
192. علي عبد الظاهر علي، ما اخفاه التاريخ من قص منسية لبطولات اسطورية، دار عالم الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، 2017، الطبعة الاولى، ص218. [↑](#footnote-ref-192)
193. رجب محمد عبد الحليم، مرجع سابق، ص182. [↑](#footnote-ref-193)
194. شهاب الدين أحمد بن عبد القادربن سالم بن عثمان، كتاب فتوح الحبشة، لندن ، المملكة المتحدة، 1894، ص8. [↑](#footnote-ref-194)
195. عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص197. [↑](#footnote-ref-195)
196. رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، مرجع سابق، ص ص 182-183. [↑](#footnote-ref-196)
197. شهاب الدين احمد بن عبد القادر، مرجع سابق، ص9. [↑](#footnote-ref-197)
198. عطية مخزوم الفيتوري، مرجع سابق، ص198 [↑](#footnote-ref-198)
199. نفسه، ص 199. [↑](#footnote-ref-199)
200. نفسه، ص201. [↑](#footnote-ref-200)